

إخترنا لك



مذكرات

نستون تشرشل

الجزء السادس



اخترونا لك

مذكرات
دستور شرشل
الجزء السادس

روسيا وبولندا

لقد بحثنا موضوع بولندا في نحو سبعة اجتماعات من الاجتماعات الرسمية التي فقدناها في يالته ، وتمكنا بمساعدة وزراء خارجيتنا ومساعدتهم - الذين عقدوا اجتماعات عدة وطويلة واحتدمت بينهم المناقشات الحادة - من الوصول أخيرا الى بيان رسمي ، يمثل وعدا منا للعالم واتفاقا بيننا على اجراءاتنا المقبلة ، ولكن 'فصول' القصة المؤلمة لم تكتمل بعد ، كما لم تعرف جميع الحقائق الصحيحة تمام المعرفة ، إلا أن ما دونته هنا يلقي ضوءا على الجهود التي بذلناها في المؤتمر قبل الأخير ، من مؤتمراتنا الحربية ، حيث كانت المشكلات والمتاعب قديمة ومتعددة وحتمية ، وكانت حكومة لوبلين البولندية التي يرعاها الروس والتي يطلقون عليها اسم حكومة « وارسو » تنظر الى حكومة لندن البولندية ، بشعور من العداء المرير ، وكانت العلاقات بينهما قد ساءت بعد اجتماع موسكو الذي عقد في أكتوبر ، وكانت القوات الروسية تتدفق عبر بولندا ، وقد أسندت الى جيش المقاومة السرية البولندي مهمة قتل الجنود الروس ، وأعمال التخريب والهجوم على مناطق المؤخرة وعلى طرق المواصلات ، ولم يكن في وسع الحلفاء الغربيين الحصول على معلومات أو الوصول الى المنطقة ، وكان هناك أكثر من مائة وخمسين ألف جندي بولندي يقاتلون ببسالة في إيطاليا ، وفي الجبهة الغربية لتدمير الجيوش تدميرا نهائيا ، وكان هؤلاء وغيرهم كثيرون في أوروبا يتطلعون بشوق الى تحرير وطنهم ، كما كانت الجالية البولندية الكبيرة في الولايات المتحدة تنتظر في شوق ولهفة الى تسوية نهائية بين الدول العظمى .

ويمكن تلخيص الموضوعات التي بحثناها فيما يلي :

كيف يمكن تأليف حكومة بولندية واحدة مؤقتة ؟

وكيف ومتى تجرى الانتخابات الحرة ؟

وكيف تسوى الحدود البولندية في الشرق والغرب ؟

وكيف تؤمن مناطق المؤخرة وطرق المواصلات للجيوش السوفيتية الراجعة ؟

ولا ريب في أن قضية بولندا ، كانت من أهم العوامل التي دعت الى عقد مؤتمر يالته ، وكانت من أهم القضايا الرئيسية التي أدت الى اختيار الحلف الأعظم ، وكنت من ناحيتي على ثقة ، في أن قيام بولندا ، قوية ، وبنصرة ومستقلة ، أهم بكثير من الحدود الإقليمية المعنية ، وقد

أردت أن يعيش البولنديون أحرارا ، وأن يجيوا الحياة التي يريدونها
كما يشاءون ، ولا ريب في أن هذا هو السبب الذي دفعنا إلى الحرب
ضد ألمانيا في عام ١٩٣٩ ، وكاد هذا الثمن نفسه يكلفنا حياتنا
لا كإمبراطورية ، بل كدولة أيضا .

ولذلك فانه عندما اجتمعنا في السادس من فبراير عام ١٩٤٥ ،
عرضت الموضوع على النحو التالي : اليس في وسعنا أن نخلق حكومة
أو جهازا حكوميا لبولندا يتولى إدارة البلاد بصورة مؤقتة إلى أن يتم
إجراء انتخابات حرة وكاملة يعترف بها الجميع ؟ وإذا تمكنا من تحقيق
ذلك فأننا نكون قد خطونا خطوة عظيمة نحو إحلال السلام في المستقبل
لأوروبا الوسطى .

وانصت ستالين ، في النقاش الذي تلا ذلك ، انه فهم موقفنا وذكر
أن بولندا ، تمثل بالنسبة إلى البريطانيين قضية كرامة ، ولكنها تمثل
بالنسبة إلى الروس قضية كرامة وسلامه معا ، حيث توجد خلافات كثيرة
بين الروس وبينهم ، وهم يريدون القضاء على أسباب هذه الخلافات ،
لأن بولندا تقوم على حدود روسيا ، ولقد كانت دائما ممرا يجتازه أعداء
روسيا لمهاجمتها وقد فعل الألمان هذا مرتين في بحر ثلاثين عاما ، لأن
بولندا كانت ضعيفة وتريد روسيا من بولندا أن تكون قوية تستطيع
إغلاق هذا البحر بقوتها وحدها ، لأن روسيا لا تستطيع إغلاقه من الخارج ،
وهذه قضية حياة أو موت بالنسبة إلى الدولة السوفييتية .

أما بالنسبة إلى الحدود ، فقد قال ستالين ان الرئيس روزفلت
قد اقترح إجراء بعض تعديلات على خط كرزون ، وأن تعطى «لوار»
وبعض المناطق الأخرى إلى بولندا ، وقد قلت أن مثل هذا العمل سيكون
بإدارة ترمز إلى الشهامة ، إلا أن ستالين أشار إلى أن الروس لم يكونوا
هم الذين اخترعوا خط كرزون ، فقد رسم كرزون وكليمنصو وممثلو
الولايات المتحدة هذا الخط في مؤتمر الصلح لعام ١٩١٨ ، الذي لم تدع
روسيا إلى حضوره ، ولم يوافق لينين على هذا الخط .

وعندما عدنا إلى الاجتماع في السابع من فبراير ، ذكرت
مستمعي بأنني قد حددت دائما تحرك الحدود البولندية غربا بقولي ،
ان من حق البولنديين أن يكونوا أحرارا في الحصول على أراضي في الغرب
على ألا تكون أكثر مما يستطيعون إدارته إدارة صحيحة ، ولو أخذت
بولندا بروسيا الشرقية وسيليريا حتى نهر الأودر ، فإن هذا يعني نقل
سبعة ملايين ألماني إلى ألمانيا ، ومن الممكن أن يسوى الموضوع على هذا
النحو .

وقال ستالين ان هذه المناطق خالية من الألمان لانهم فروا منها
جميعا ، وقد رددت عليه قائلا ، ان السؤال هو ، هل يتسع للألمان
ما تبقى من ألمانيا ؟ ولقد قتل ستة ملايين أو سبعة ملايين ألماني ، وقد
يقتل مليون أو مليونان كما اقترح ستالين قبل انتهاء الحرب ، ولذا
فسيكون هناك مجال لهؤلاء المهاجرين إلى حد ما ، وأنا لا أفرع من

مشكلة نقل السكان ، اذا كان في وسع البولنديين ان يديروا أمر البلاد ،
التي يستولون عليها ، ولكن هذه القضية تتطلب درسا ، لا كموضوع
بدا ، ولكن كموضوع أرقام يجب معالجتها .

وقد وافق المستر روزفلت في الثامن من فبراير ، على أن يكون
خط كرزون هو الحدود الشرقية لبولندا ، ولكنه كان صلبا ودقيقا في
موضوع الحدود الغربية ، إذ من الواجب أن تأخذ بولندا تعويضات
على حساب ألمانيا ، ولكن ليس ثمة مبرر لامتدادها الى نهر الميسيسبي
الغربي ، وكان هذا رأي دائما ، وكان على أن أعيد التكلم في موضوعه ،
عندما اجتمعنا في بوتسدام بعد خمسة أشهر .

وهكذا كنا متحدين في يالته ، من ناحية المبدأ ، بصدد الحدود
الغربية وكان السؤال الوحيد ، هو أين يجب أن يرسم تماما هذا
الخط ؟ وما يمكننا قوله في هذا الموضوع ، هو أنه يجب أن يأخذ
البولنديون جزءا من بروسيا الشرقية ، وأن يكونوا أحرارا في الامتداد
الى نهر الأودر ، ولكننا لم تكن على ثقة ، فيما إذا كان في وسعنا أن
نمضي الى أبعد من هذا ، أو أن نقول شيئا من هذا الموضوع في هذه
المرحلة ، وبعد ثلاثة أيام قلت للمؤتمر ، أنني قد تلقيت برقية من
وزارة الحرب ، تعترض على أية إشارة الى الحدود على نهر الميسيسبي
الغربي ، لأن مشكلة نقل السكان ستكون أضخم من أن تعالج .

ولهذا فقد قررنا أن ندخل الفقرة التالية في اعلاننا المشترك :

« يرى رؤساء الحكومات الثلاث أن حدود بولندا الشرقية يجب
أن تسير مع خط كرزون ، مع بعض الانحرافات عنه في بعض المناطق
التي لا تتجاوز خمسة كيلو مترات أو ثمانية لمصلحة بولندا ، وهم يعترفون
أن على بولندا أن تتنازل عن بعض الأراضي في الغرب والشمال ، وهم
يشعرون أن من الواجب أخرى رأى الحكومة البولندية المؤقتة الممثلة
للوحدة الوطنية ، في الوقت المناسب ، بالنسبة الى مدى هذه التساهلات
وأن يؤجل التخطيط النهائي لحدود بولندا الغربية الى مؤتمر
الصلح » .

وظلت أمامنا مشكلة تأليف الحكومة البولندية التي نستطيع
الاعتراف بها جميعا ، والتي يرضى بها الشعب البولندي ، وقد بدأ
ستالين الحديث بالإشارة الى أننا لا نستطيع تعيين حكومة بولندية الا
إذا وافق عليها البولنديون أنفسهم . وكان ميكولاجيك وجرابسكي
قد وصلا الى موسكو ، في أثناء زيارتي الماضية لها ، وكانا قد اجتمعا
مع حكومة لوبلين ، ووصلا معها الى حد من الاتفاق ، ثم غادرا
ميكولاجيك الى لندن على أساس أنه سيعود ، ولكن زملاءه في لندن ،
أخرجوه من رئاسة الوزارة . لمجرد أنه فكر في الاتفاق مع حكومة
لوبلين ، وكانت حكومة لندن البولندية معادية تمام العداة لمجرد فكرة
حكومة لوبلين ، وكانت تصفها بأنها شركة من المجرمين وقطاع الطرق
وكانت حكومة لوبلين تضيف على حكومة لندن البولندية الأوصاف

نفسها وكان من الصعب الوصول الى حل في هذا الموضوع ، وقد قال ميكولاجيك :

« تحدثوا الى حكومة لوبلين ان شئتم ، فسأحملهم على المجيء اليكم هنا أو في موسكو ، ولكنهم لا يقلون ديمقراطية عن ديغول ، وفي وسعهم ان يحفظوا السلام في بولندا وأن يوقفوا الحرب الأهلية والهجمات على الجيش الأحمر ، ولكن جماعة لندن لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك ، فعملاؤهم في بولندا قد قتلوا الجنود الروس وهاجموا مستودعات أسلحتهم للحصول على السلاح ، وكانت محطات إذاعتهم تعمل بدون ترخيص وبدون تسجيل » .

ومن المهم بالنسبة للجيش الأحمر ، أن تكون مناطق مؤخرته سليمة مأمونة وهو كرجل عسكري لا يستطيع أن يؤيد إلا الحكومة التي تستطيع تأمين هذه المؤخرة .

ولما كان الوقت متأخرا في هذه الليلة ، فقد اقترح الرئيس روزفلت تأجيل الاجتماع الى اليوم التالي ، ولكنني رايت من المناسب ان اقول انه طبقا لمعلوماتنا ، فانه لا يوجد أكثر من ثلث الشعب البولندي يؤيد حكومة لوبلين ، اذا سمح له أن يعبر عن رأيه في انتخابات حرة ، وأكدت لستالين أننا كنا نخشى دائما من وقوع اصطدام بين الجيش السري البولندي وحكومة لوبلين ، لما يسفر عنه من سفك دماء واعتقالات ونفى ، وأن هذه الخشية هي التي تدفعنا الى الرغبة في الوصول الى ترتيبه مشترك ، ومن الواجب حتما أن يعاقب المسئولون عن مهاجمة الجيش الأحمر ، ولكن بالنسبة الى مالدي من معلومات ، فأنني لا أستطيع أن أشعر أن من حق حكومة لوبلين أن تقول انها تمثل الشعب البولندي .

ولما كان الرئيس شديد الرغبة في انهاء النقاش ، فقد قال ، لقد كانت بولندا مصدرا للمتاعب أكثر من خمسمائة عام ، فرددت عليه قائلا ، وهذا وحده كاف ليدفعنا الى أن نعمل كل ما في وسعنا لإنهاء هذه المتاعب ، ثم انفض الاجتماع .

هذا وقد وجه الرئيس في تلك الليلة رسالة الى ستالين ، حثه فيها على وجوب دعوة ممثلين من حكومة لوبلين ، وممثلين آخرين من حكومة لندن ، يأتون من إنجلترا أو من داخل بولندا نفسها للمجيء الى يالته ، والاشتراك في المؤتمر ، وأن يحاولوا معا ، وبحضورنا ، الاتفاق على حكومة مؤقتة ، نستطيع الاعتراف بها جميعا ، لتتولى اجراء الانتخابات الحرة في أسرع وقت ممكن ، ولكن بدا أن هذا الاقتراح غير عملي ، فقد اطرى مولوتوف فضائل حكومة لوبلين - وارسو - وحمل على مساويء جماعة لندن وعيوبهم ، وقال ، أننا اذا حاولنا خلق حكومة جديدة ، فإن البولنديين أنفسهم قد لا يصلون الى اتفاق أبدا ، ولذا ، فانه من الأفضل « توسيع » الحكومة القائمة ، وستكون هذه الحكومة على كل حال مؤقتة ، إذ أن هدفنا الوحيد جميعا ، هو اجراء انتخابات حرة في بولندا في أسرع وقت ممكن ، وسيتفق على

طريقة تدعيم الوزارة مع السفيرين البريطانى والأمريكى فى موسكو ،
ولكونه راغبا فى الاتفاق فانه يقبل اقتراح الرئيس روزفلت بدعوة
بولنديين من غير رجال حكومة لوبلين ، ولما كان هناك احتمال بأن ترفض
حكومة لوبلين التحدث الى بعضهم كميكولاجيك مثلا ، الا انه اذا
مابعثوا بثلاثة ممثلين وجاء ممثلان من أولئك الذين اقترحهم المستر
روزفلت فان المحادثات قد تبدأ فوراً .

وهنا قلت : ان هذه النقطة هى عقدة المؤتمر بالدات ، وان العالم
كله يرقب تسوية هذه القضية ، واذا افترقنا من هنا وما زال كل منا
يعترف بحكومة بولندية تختلف عن الأخرى ، فان العالم بأسره
سيرى ان الخلافات الجوهرية ما زالت قائمة بيننا ، وستكون النتائج
بامثلة على الأسى ، وستحكم على اجتماعنا بالفشل السريع ، واذا أطحنا
بحكومة لندن ، وايدنا حكومة لوبلين ، فسترتفع هناك ضجة عالية ،
وسيحتمل علينا جميع البولنديين الذين يعيشون خارج بولندا .

ولما كان يعمل معنا جيش بولندى يضم مائة وخمسين الفا ،
جمعوا من كل الرجال القادرين على حمل السلاح خارج بولندا ، وقد
قاتل هذا الجيش وما زال يقاتل ببسالة ، فانا لا نستطيع ان اصلق
بأن هذا الجيش سيرضى أبداً عن حكومة لوبلين ، واذا كانت بريطانيا
العظمى ، ستنقل اعترافها من الحكومة التى اعترفت بها منذ بداية
الحرب ، الى حكومة لوبلين ، فان هؤلاء الجنود سينظرون اليها على
انها خانتهم .

ومضيت اقول : ولا ريب فى أن المارشال ستالين والسيو
مولوتوف يدركان تمام الإدراك ، بأننى لم اكن راضيا عن أعمال حكومة
لندن ، التى كنت أرى فيها الحمق فى كل مرحلة من المراحل ، ولكن
نقل اعترافنا رسميا من هؤلاء الذين كنا نعترف بهم حتى الآن ، الى هذه
الحكومة الجديدة ، سيعرضنا الى أشد ما يمكن من النقد ، وسيقال
ان حكومة جلالتة ، قد سلمت تسليما كاملا فى موضوع الحدود
الشرقية ، كما فعلنا حقا ، واننا قد قبلنا وتبيننا الدفاع عن وجهة
النظر السوفييتية ، وسيقال ايضا اننا فصمنا علاقاتنا كلية مع حكومة
بولندا الشرعية ، التى اعترفنا بها طيلة السنوات الخمس الماضية من
الحرب ، واننا لا نعرف شيئا عن حقيقة ما يقع فى بولندا ، فنحن
لا نستطيع دخول تلك البلاد ، ولا نستطيع ان نرى ، وأن نسمع حقيقة
الرأى العام فيها ، كما سيقال اننا نقبل كل ما تقول به حكومة لوبلين
عن رأى الشعب البولندى ، وسنتهم فى برلماننا نفسه ، بأننا تخلينا عن
قضية بولندا ، وستكون المناقشات التى ستتلى ذلك فى البرلمان مؤلة
كل الايلام ، ومربكة لوحدة الحلفاء ، حتى ولو افترضنا اننا قد تمكنا
من قبول اقتراحات صديقى السيو مولوتوف .

واستطردت اقول : واعتقد أن هذه الاقتراحات ستقربنا الى
الوصول الى حل ، فاذا تخلينا عن حكومة لندن البولندية ، فيجب
ان نبدا بداية جديدة من الطرفين على أسس متكافئة تقريبا ، فقبل
ان نتوقف عن الاعتراف بحكومة لندن ، وقبل ان ننقل هذا الاعتراف

الى حكومة اخرى ، يجب ان نتأكد من ان هذه الحكومة الجديدة تمثل
حقا الشعب البولندي ، وانا اوافق على ان هذه وجهة نظر واحدة . ليس
الا ، لاننا لا نعرف حقا ، جميع الحقائق وستزول جميع خلافاتنا حتما ،
اذا جرت انتخابات عامة وحررة في بولندا على اساس الاقتراع السرى ،
والتصويت العام ، وحرية الترشيح ، واذا ما تحقق هذا ، فان حكومة
بريطانيا ، ستجنى رأسها اجلالا للحكومة التى تتمخض عنها مثل هذه
الانتخابات ، ودون ان تكترث بحكومة لندن ، ولا ريب فى ان الفترة التى
تسبق الانتخابات هى التى تسبب لنا الكثير من القلق .

وقال مولوتوف : انه يأمل ان تسفر محادثات موسكو عن نتائج
مجدية ، وستتاح الفرصة للبولنديين ليقولوا ما يريدونه ، وسيكون
من الصعب معالجة الموضوع بدون وجودهم ، وقد وافقته على رأيه ،
ولكننى قلت ان من المهم ان ينفذ المؤتمر ، وقد ظهر بمظهر المتفق
على شىء يجب ان نعمل جميعا بأناة للوصول اليه .

وهنا تدخل سستالين ، فتناول شكواى من اننا لا نتلقى أية
معلومات ولا سبيل لنا للوصول الى هذه المعلومات .
فرددت عليه ، بأن لدى بعض المعلومات .

فقال : ولكنها لا تتفق مع معلوماتى ، ثم مضى يؤكد لنا ان حكومة
لوبلين ، تحظى بتأييد الشعب ولا سيما بيروت وغيره من رجسالتها ،
فهؤلاء الرجال لم يغادروا البلاد ابان الاحتلال الالماني لها ، ولكنهم ظلوا
يعيشون فى وارسو طيلة الوقت . ثم خرجوا من أماكن اختفائهم الى
حيث يوجدون الآن وهو لا يعتقد انهم من العباقرة ، فقد تضم حكومة
لندن رجالا اكثر منهم ذكاء ولكن الشعب لا يحبهم ، لانه لم يرههم معه
يحتلون معه الالم الاحتلال الالماني ، فى الوقت الذى كان يرى فيه
أعضاء الحكومة المؤقتة ، ولكنه كان يتساءل : اين هم رجال حكومة
لندن ؟ ولا ريب فى ان هذه المشاعر ، حطمت نفوذ حكومة لندن ،
وكانت السبب فى ان يتمتع رجال الحكومة المؤقتة بمثل هذه الشعبية
العظيمة مع انهم ليسوا من الرجال العظام ، واضاف يقول :

كما انه ليس فى وسعنا ان ننسى كل هذه الأمور ، اذا اردنا حقا
فهم المشاعر الصادقة للشعب البولندي ، وقال ان المستر تشرشل
يخشى ان ينفذ المؤتمر قبل الوصول الى اتفاق ، فماذا يمكن ان
نفعل يا ترى ؟ فالحكومات المختلفة تملك معلومات متباينة ، وتبنى على
هذه المعلومات استنتاجات متفاوتة ، ولعل اول مايجب ان نفعله ، هو
ان ندعو البولنديين من مختلف المعسكرات والفئات ، وان نستمع الى
ما يقولونه وقد حان الوقت الذى فيه يصبح فى الامكان اجراء الانتخابات
والى ان يتم ذلك فعلىنا ان نتعامل مع الحكومة المؤقتة ، كما تعاملنا مع
حكومة الجنرال ديغول فى فرنسا ، وهى حكومة لم تنتخب أيضا ،
وهو لا يستطيع ان يحدد ما اذا كان بيروت يتمتع بشعبية اكثر من
ديغول أو ان ديغول يتمتع بشعبية اكثر منه ، ولذا فلم لا نفعل الشىء
نفسه مع بيروت كما فعلنا مع ديغول وان نعقد معه معاهدة مماثلة
لتلك التى عقدناها مع الجنرال ؟ ولا ريب فى ان أية حكومة تعمل فى

بولندا ؛ لن تكون أقل ديمقراطية من حكومة دييجول ، وإذا ما عالجنا الموضوع بدون اهواء وميول أمكننا الوصول الى اتفاق مشترك . فالوضع ليس على النحو الذى صورته المستر تشرشل من الأسى ، وفى الامكان حل القضية ، اذا لم نعلق كبير أهمية على القضايا الثانوية وركزنا اهتمامنا على القضايا الجوهرية .

وتساءل الرئيس روزفلت : ترى متى يصبح فى الامكان اجراء انتخابات ؟

فقال ستالين : فى بحر شهر ، الا اذا وقعت كارثة فى الجبهة ، وهو أمر بعيد الاحتمال .

ووافقت على أن مثل هذا القول يزيل قلقنا ، وفى وسعنا أن نؤيد من صميم قلوبنا حكومة تنتخب انتخابا حرا ، ولكن يجب ألا نطلب شيئا قد يؤدي فى أى حال من الأحوال الى هرقلة العمليات الحربية ، فهى الهدف الأول والأهم ، وإذا كان فى الامكان الوقوف على رأى الشعب البولندى فى مثل هذا الوقت القصير او حتى فى بحر شهرين ، فان الوضع يختلف آن ذاك كل الاختلاف ولن يكون فى وسع أى انسان الاعتراض عليه .

وعندما عدنا للاجتماع فى اليوم التاسع من فبراير عام ١٩٤٥ ، تقدم مولوتوف باقتراح جديد : وهو أن يعاد تشكيل حكومة لوبلين - بدلا من «توسيعها» - على أسس ديمقراطية أكثر شمولاً ، بحيث تضم زعماء ديمقراطيين من الذين يعيشون داخل بولندا نفسها أو فى خارجها وسيتشاور هو مع السفير البريطانى والأمريكى فى موسكو فى الطريقة التى يتم بها تحقيق ذلك ، ومتى أعيد تنظيم حكومة لوبلين فستتمهد باجراء انتخابات حرة فى أسرع وقت ممكن ، وسنعترف بأية حكومة تنبثق عن تلك الانتخابات .

وقد قلت ان اقتراح مولوتوف لا بأس به ، ولكننى أرى من واجبى أن أوجه اندارا عاما ، وهو انه من حيث ان هناك جوا من الاتفاق ، فأنى أشعر انه ليس فى امكاننا أن نسمح للعجلة بالتدخل فى تسوية مثل هذه القضايا المهمة ، وان نضيع ثمار مؤتمرنا ، لعدم رغبتنا فى مد مؤتمرنا أربعاً وعشرين ساعة أخرى ، ويجب ألا نرتجل قراراتنا ارتجالاً ، وقد تكون هذه الايام من أهم الايام فى حياتنا .

هذا وقد اعلن المستر روزفلت ، ان الخلافات بيننا وبين الروس أصبحت شكلية ليس الا ، وأكد انه يهمله كما يهمنى جدا أن تكون الانتخابات حرة وثرية حقاً ، وقلت لستالين : اننا نشعر بنقص معيب فى معرفة حقيقة ما يدور فى داخل بولندا ، ومع ذلك يطلب اليك أن تتخذ قرارات خطيرة تتناول مسئوليات ضخمة ، فقد كنت أعرف مثلاً أن هناك شعوراً بالمرارة والألم بين البولنديين ، لما قيل لى ان حكومة لوبلين قد أعلنت بصراحة عن عزمها على محاكمة جميع أفراد الجيش البولندى الداخلى وحركة المقاومة السرية كخونة ، ولو أنى أولى قضية سلامة الجيش الأحمر المقام الأول من اهتمامى ، الا أننى أرجو من ستالين

ان يدرس الصعوبة التي نواجهها ، فالحكومة البريطانية لا تدرك حقيقة ما يدور في بولندا ، الا عن طريق لقاء بعض الرجال البواسل بالمظلات ، وخروج بعض أعضاء حركة المقاومة الداخلية ، وأكدت له انه ليست لدينا وسائل أخرى للمعرفة ، واننا لا نود الحصول على معلومات بهذه الطريقة ، فهل يمكن اصلاح هذا الموضوع دون عرقلة حركات القوات السوفييتية ؟ وهل يمكن منح تسهيلات للبريطانيين والامريكيين ليروا بأنفسهم كيف تسوى المنازعات البولندية ؟

وقد ذكر تيتو انه عند ما تجرى الانتخابات في يوغوسلافيا فلن يعارض في حضور المراقبين الروس والبريطانيين والامريكيين ، لينقلوا الى العالم بشكل غير متحيز أن هذه الانتخابات قد جرت بصورة عادلة ونزيهة .

أما بالنسبة لليونان ، فان حكومة جلالتة تتعهد بأن ترحب ترحيبا حارا بمجيء المراقبين الأمريكيين والبريطانيين والروسين ليتحققوا من أن الانتخابات ستتم كما يشتهي الشعب ، وهذا ينطبق أيضا على ايطاليا ، ومن المستحيل أن يبالغ المرء في تقدير أهمية اجراء الانتخابات بصورة نزيهة ، فمثلا : هل يستطيع ميكولاجيك أن يعود الى بولندا ، لينظم حزبه قبل الانتخابات ؟

فقال ستالين : هذا موضوع يدرسه السفراء مع المسيو مولوتوف عندما يجتمعون بالبولنديين .

فقلت : انه يجب أن أتمكن من ابلاغ مجلس العموم أن الانتخابات ستكون حرة ، وانه ستكون هناك ضمانات فعالة ، بأنها ستجرى في جو من الحرية والنزاهة .

وأشار ستالين : الى أن ميكولاجيك يمت الى حزب الفلاحين ، ولما لم يكن هذا الحزب من الأحزاب الفاشية ، فسيسمح له بالاشتراك في الانتخابات والتقدم بمرشحيه ، وقلت : ان هذا الأمر سيتأكد أكثر وأكثر اذا كان حزب الفلاحين ممثلا في الحكومة البولندية ، ووافق ستالين على وجوب ضم أحد ممثلي الحزب الى الحكومة ، واضفت بأننى أرجو الا يكون في أى شيء قلته ما يدعو الى الاساءة .

ورد ستالين قائلا : يجب أن نسمع ما سيقوله البولنديون على أى حال ، وأوضح أننى أرغب في أن أحمل البرلمان على قبول موضوع الحدود الشرقية ، وأنا أعتقد ، أن البرلمان قد يتساهل في هذا الموضوع اذا اقتنع بأن البولنديين قد تمكنوا من أن يقرروا لأنفسهم ما يريدونه حقا .

فرد ستالين قائلا : ان بينهم عددا لا بأس به من الناس الطيبين ، وهم محاربون من خيرة الجنود ، وظهر بينهم عدد لا بأس به من العلماء والموسيقين ولكنهم شعب مشاكس بطبعه .

فقلت : ان كل ما أريده ، هو ان يتمكن جميع الأفراد من إسماع كلمتهم .

وقال الرئيس : يجب أن تكون الانتخابات فوق مستوى النقد ، وكل ما أريده هو نوع من التأكيد أستطيع أن أقدمه الى العالم ، ولا أريد أن يشك أى انسان فى العالم فى نزاهة هذه الانتخابات ، والمسألة مسألة مبدأ .

واقترح المسيو ستيتينوس ، أن نكتب تعهدا خطيا بأن يؤكد السفراء الثلاثة فى وارسو ، بناء على ملاحظاتهم ، أن الانتخابات جرت حقا فى جو من الحرية والجيدة ، فقال مولوتوف : أننى أخشى أننا اذا قمنا بذلك ، حملنا البولنديين على الشعور بأننا لا نثق فيهم ، وأرى من الخير أن نبحث هذا الموضوع معهم .

ولم أقتنع بهذا ، وقررت إثارة الموضوع مع ستالين فى وقت آخر ، وقد حانت الفرصة فى اليوم التالى ، عندما قابلته ومعى المستر أيدن بحضور مولوتوف ، وشرحت له من جديد ، ما نحس به من صعوبة لعدم وجود من يمثلنا فى بولندا ، لكى يتمكن من أن ينقل اليينا ما يدور هناك ، وقلت : ان هناك احتمالين اما أن نبعث سفيرا مع عدد من موظفى السفارة ، أو نبعث بلفيف من المراسلين الصحفيين ، ولم يكن راغبا فى ارسال الصحفيين .

وقد قلت له : أننى سأسأل فى البرلمان عن حكومة لوبلين ، وعن الانتخابات وان من الواجب أن أعرف ما هناك لأتمكن من الرد .

وقد قال ستالين : بعد الاعتراف بالحكومة البولندية الجديدة سيكون فى وسعكم ارسال سفير الى وارسو .

فعلت أسأله : وهل سيكون حرا فى التنقل داخل البلاد ؟

فقال ستالين ، أما من ناحية الجيش الأحمر ، فلن يكون هناك تدخل منه وأعدك بأننى سأصدر التعليمات اللازمة ، ولكن عليك أن تقوم بترتيباتك الخاصة مع الحكومة البولندية .

ولذلك فقد قررنا اضافة الفقرة التالية الى اعلاننا :

« وعلى ضوء ماتقدم ، فسينطوى الاعتراف على تبادل السفراء لكى تستطيع الحكومات المعنية على ضوء تقاريرهم ، ان تعرف حقيقة الوضع فى بولندا » .

وكان هذا هو ما أمكن الحصول عليه .

وهكذا ، انتهت زيارتنا للقرم فى اليوم الحادى عشر من فبراير الا أنه قد طلبت عدة قضايا خطيرة - كما هو المألوف فى مثل هذه المؤتمرات - دون حل ، وقد وضع البيان الذى أصدرناه عن بولندا سياسة فى خطوط عريضة ، لو قدر لها أن تتبع باخلاص وولاء وصدق لأدت غرضها حقا حتى يحين موعد مؤتمر الصلح العام .

ولما كان الرئيس يود العودة الى بلاده ، وان يمر فى طريقه بمصر لكى يبحث مع سـفـرائه مختلف قضايا الشرق

الأوسط ، فقد وقّعنا الوثائق النهائية والبلاغات الرسمية في أثناء فترة
الغداء .

وقد رأيت من واجبي أن أزور أثينا ، لأطلع بنفسى على حقيقة
الوضع في اليونان بعد الاضطرابات الأخيرة ، فتوجهت ومن معى الى مطار
ساكى ، في صباح اليوم الرابع عشر من فبراير ، وركبنا منه الطائرة
الى أثينا ، وكان في استقبالنا في المطار السفير البريطاني المستر ليبر
والجنرال سكوبى ، واستقبلنا بحماس كبير ، وعند ما وصلنا الى ساحة
الدستور القيت خطبة قصيرة في الجماهير ، وفى صباح اليوم التالى أخذنا
الطائرة الى مصر .

وفى هذا الوقت كان الطراد الأمريكى « كوينسى » قد وصل الى
الاسكندرية وعلى ظهره الرئيس روزفلت ، فتوجهت الى حيث يوجد
الطراد ، لمقابلته ، وكان معى ابنتى سارة وابنى راندولف ، وقد وجدت
الرئيس فى حالة ضعف واعياء ، فما أن أشعرتنى بأنه على وشك مفارقة
الحياة ، حتى ودعته وداعا حارا عند ابحاره الى أمريكا ظهر اليوم ، كما
طرت فى اليوم التاسع عشر من فبراير الى لندن .

وقد طلبت الى مجلس العموم عندما انعقد فى السابع والعشرين
من فبراير ان يوافق على نتائج مؤتمر القرم ، فوافق عليها بالأغلبية .

وكان ثمة شعور من الأسى ، قد ملا قلبى ، مخافة ان تضطر الى
مواجهة احتمال استعباد شعب بطل ، وقد خالج هذا الشعور نحو
ثلاثين نائبا آخرين حتى ان بعضهم قد عارض الاقتراح .

وأود أن أوجه نظر هؤلاء الذين تقع على عواتقهم مهمة معالجة
الاحداث فى أوقات الحروب والازمات ، ألا يحصروا أنفسهم فى البيانات
المجردة ، ذات الطابع الذى يتناول المبادئ العامة التى يتفق عليها جميع
الناس الطيبين ، وعليهم أن يتخذوا قرارات محدودة وواضحة من يوم
لآخر ، وأن يحافظوا على تنفيذها بصلابة واصرار ، والا فمن الصعب
المحافظة على الاتحاد .

وقد يكون من السهل بعد أن يهزم الالمان ، أن نحمل على أولئك
الذين بذلوا كل ماديهم من جهد لتقوية مجهود روسيا الحربى وخصوصا
الولايات المتحدة التى وقع عليها العبء الأكبر من التضحيات ، وماذا كان
يحدث لو اختلفنا مع الروس فى الوقت الذى كان لدى الالمان فيه ثلثمائة
فرقة فى جبهات القتال ، ان آمالنا كانت ستتحطم حتما .

«عبور الراين»

قرر الالمانيون ، على الرغم من الهزيمة التي لحقت بهم فى الاروين ، أن يخوضوا معركة جديدة الى الغرب من الراين ، بدلا من الانسحاب عبر النهر ، ليستجمعوا قواتهم ، ويلتقطوا أنفاسهم ، ولذلك فقد خاض الماريشال مونتجمرى معركة طويلة وشاقة طوال شهر فبراير ومعظم شهر مارس ، لان الخطوط الدفاعية الالمانية كانت قوية وقد أصروا على الدفاع عنها بعناد ، وقد كانت الأرض موحلة بسبب فيضان نهري الراين والموز ، ولما كان الالمانيون ؛ قد حطموا فتحات السدود الكبيرة المقامة على الروهر ، فقد أصبح النهر غير صالح للعبور ، واستمر الحال كذلك حتى نهاية شهر فبراير ، ومع ذلك فقد تراجعت ثمانى عشرة فرقة المانية الى ماوراء النهر فى اليوم العاشر من مارس ، مما مكن الجنرال براى من تطهير الأرض الممتدة ثمانين ميلا والواقعة بين دسلدورف وكوبلنتر بعد حملة سريعة وقصيرة .

وفى السابغ من الشهر واثت الحلفاء فرصة سانحة ، فسارعوا الى اغتنامها ، فقد وجدت الفرقة المدرعة التاسعة التابعة للجيش الامريكى جسر السكة الحديد فى ريماجن مدمرا جزئيا ولكنه ما زال صالحا للاستعمال ، فاندفع قائد الفرقة بطلائعه فوق الجسر وتبعته القواات الاخرى ، ولم يمر وقت طويل حتى كانت أربع فرق قد عبرت النهر وأقامت لها رأس جسر يمتد عدة أميال ، ولم يكن هذا الاندفاع جزءا من خطة ايزنهاور ، ولكنه برهن على أنه عامل مساعد ممتاز ، مما اضطر الالمان الى تحويل قوات مهمة الى الشمال لصد الاندفاع الامريكى وتمكن باتون من قطع خطوط العدو حول تريبر وتحطيمها ، وبذلك تم تطويق المدافعين عن خط سيجفريد المخيف ، ولم تمض بضعة أيام حتى توقفت كل مقاومة منظمة للعدو فى هذه الناحية .

وكنتيجة فرعية لهذا الانتصار ، قامت الفرقة الامريكية الخامسة بعبور نهر الراين على بعد خمسة عشر ميلا الى الجنوب من ماينز .

وبعد معارك مستمرة دامت ستة أسابيع على جبهة طولها مائتان وخمسون ميلا ، اضطر العدو الى الانسحاب الى ما وراء الراين ، بعد أن منى بخسائر لايسطيع تعويضها فى الرجال والعتاد ، هذا وقد لعبت قوات الحلفاء الجوية دورا بارز الاهمية فى هزيمة العدو ، وانزال الفوضى بقواته ، ووقتها تدخل سلاح الجو الالمانى المنهار ، كما كانت الغارات المستمرة التى تشنها قاذفاتنا الثقيلة ؛ سببا فى انقاص انتاج الزيت عند الالمان الى درجة كبيرة ، وفى تخريب مصانع ومواصلاته ، بحيث أرغمتها تقريبا على التوقف .

وقد رغبت في أن أشهد مع جيوشنا عبور الراين ، وأخذت معي
سكرتيري جوك كولفيل ومرافقي البحري تومي ، وطرنا الى مقر القيادة
البريطانية ؛ على مقربة من فينار ، وانتقلنا بعد ذلك الى عربة خرائط
مونتجمري واطلعت على جميع الخرائط التي أعدتها مجموعة منتقاة من
الضباط ، أوضحوا فيها جميع الخطط المتعلقة بهجومنا وتوزيع قواتنا ،
وكان علينا أن نشق طريقا لنا عبر النهر في عشر نقاط على جبهة تمتد
عشرين ميلا من رينسبرج الى ريس ، وتقرر أن نستخدم جميع مواردنا ،
حيث يوجد ثمانون ألف جندي يؤلفون مقدمة جيوش يبلغ تعداد رجالها
مليوناً على الأقل ، كما كان يوجد حشد كبير من القوارب والعوامات على
أهبة الاستعداد ، وفي الوقت نفسه كان يقف الجنود الألمان على الطرف
الثاني من النهر داخل خنادقهم ، وقد انتظموا وتسليحوا بأحدث معدات
الحرب والقوة النازية .

وكنيت طبقا لدراساتي أو لاختباراتي في الحروب ، أشك في أن
يصبح أي نهر حاجزا طبيعيا للدفاع ضد عدو متفوق ، ولهذا فقد كنت
أعلق آمالا ضخمة على المعركة ، حتى قبل أن يشرح لي المارشال الخطط
التي وضعت لها ، يضاف الى ذلك أننا أصبحنا لنا السيادة المطلقة في
الجو .

هذا وقد أراد القائد العام أن يوضح لي بصورة خاصة طريقة انزال
فرقتين محمولتين في الجو تضمان نحوا من أربعة عشر ألف رجل مع
مدافعهم ومعدات الهجوم ، وراء خطوط العدو ، وكان قد أعد لي مكانا
فوق رابية لكي أراقب فيه من الصباح حركات الهبوط من الجو ، وعند
الضحى سمعنا هدير الطائرات الهائل فوق رؤوسنا ورأينا أسرابها
تندفع من الأفق ، وتعود بعد أن تتم قصف مواقع العدو ، إلا أنني شعرت
بالأسى عند ما رأيت الطائرات في أثناء عودتها وبعضها يتصاعد منه
الدخان والبعض الآخر ينبعث منه اللهب ، كما رأيت أيضا في هذه
اللحظة بقعا صغيرة تندفع عائمة نحو الأرض ، مما سبب لي الما قاسيا
جدا .

ثم أخذت أطوف بالسيارة في جولة طويلة من نقطة الى أخرى
مارا بمختلف قيادات الفيالق ، وقد سارت الأمور على ما يرام طوال ذلك
اليوم ، وتركزت الفرق الأربع المهاجمة وهي الفرقتان الخامسة عشرة
والحادية والخمسون البريطانيان والفرقتان الثلاثون والتاسعة والسبعون
الأمريكيتان ، تركزت عبر النهر وأقامت رؤوس جسور بجوار النهر تمتد
خمس آلاف ياردة ، كما كان ضرب أسلحة الحلفاء الجوية الذي لا يفوقه
في العنف إلا ما حدث يوم الغزو في نورمانديا ، يشبه أيضا القنات
الجوية الاستراتيجية العاملة من بريطانيا والقاذفات الثقيلة العاملة من
إيطاليا ، والتي توغلت الى مسافات بعيدة في ألمانيا .

وعندما عدنا في المساء الى عربة الخرائط ، اتبحت لي فرصة رؤية
أساليب مونتجمري في إدارة دفعة المعركة ، حيث رأيت سلسلة متعاقبة
من الضباط الشبان لا يتجاوز أعلاهم مرتبة الرائد ، يتوافدون واحدا بعد

الآخر مدة ساعتين ، وقد عاد كل منهم من أحد قطاعات الجبهة ، وهؤلاء الضباط هم الممثلون الشخصيون المباشرون للقائد العام ، وفي وسعهم أن يذهبوا الى أية جهة يريدونها ، وان يوجهوا أى سؤال الى القادة فى الأماكن التى يذهبون اليها كما يبلغونهم أوامر القائد العام ، وعندما قدم كل منهم تقريره واجاب على أسئلة القائد العام الكثيرة والدقيقة والشديدة الاهتمام بكل شيء ، اتضحتم القصة الكاملة لمعركة اليوم ، وكانت هذه خير طريقة للتثبت من الوقائع التى تسردها التقارير الواردة من مختلف القيادات والقادة ، والتى عهد الى الجنرال دى جوينجانير رئيس أركان حرب مونتجمرى بقراءتها وفحصها ، واعتقد أن هذا النظام مفيد جدا ، وانه الوسيلة التى يستطيع القائد العصى بوساطتها أن يرى وان يقرأ ما يقع فى كل جزء من أجزاء الجبهة .

وقد ذهبنا فى اليوم التالى الموافق الخامس والعشرين من مارس لمقابلة ايزنهاور ، واجتمعنا به ، وكان معه حشد من القادة الامريكيين ؛ وبعد أن تحدثنا فى مختلف الشئون ؛ قال ايزنهاور ان هناك بيتا على الطرف الذى نقف عليه من الراين ، وهو يبعد نحو عشرة أميال من هنا ، ويمكن مشاهدة النهر والضفة الثانية منه بصورة واضحة ، واقترح ان نذهب الى ذلك البيت ، وقد وجدنا على مقربة من ضفتنا قاربا بخاريا صغيرا ، فقلت لمونتجمرى دعنا نعبّر به النهر لنلقى نظرة على الضفة الأخرى ، فوافق ، وبعد أن قام ببعض التحريات شرعنا فى عبور النهر ومعنا أربعة من القادة الامريكيين وستة من الجنود المسلحين ، ونزلنا بمنتهى الهدوء على الجانب الالماني وشرنا هناك على الضفة نحواً من نصف ساعة دون أن يزعجنا أحد .

وعندما عدنا طلب مونتى ، أن نذهب الى الجسر الحديدى فى ويل لنرى بأنفسنا ما يجرى هناك ، فركبنا سيارة الى هناك حيث كان الالماني يردون على نيراننا بقذائف كانت تتساقط فى مجموعات أربع على بعد نحو ميل منا ، كما سقطت عدة قذائف أخرى بين السيارات التى كانت خلفنا ، ولهذا فقد تقرر أن نبتعد عن هذا المكان ، وقد عدنا الى مقر القيادة ثانيا .

هذا ؛ وقد واصلت جيوشنا تقدمها ؛ وفى ختام الشهر ، كنا قد استولينا على مسطح كبير يمتد الى الشرق من نهر الراين ، استطعنا منه أن نشن عملياتنا الرئيسية الى داخل المانيا الشمالية ، أما فى الجنوب فان الجيوش الامريكية على الرغم من مواجهتها مقاومة جديده إلا انها تقدمت تقدما عظيما ، بفضل شجاعته ، كما تم عبور الراين فى أماكن أخرى الى الجنوب من كويليتر وعند وورمز ، ووصل الجيش الامريكى الثالث فى التاسع والعشرين من مارس الى فرانكفورت ، وتم تطويق خوض الروهر وحمايه الذين يبلغ تعدادهم ثلثمائة وخمسة وعشرين الفا ، وبذلك فقد انهارت جبهة المانيا الغربية بأكملها .

وعلى هذا الاساس ، فقد استعملت عن الحطة الاستراتيجية التى

أعدتها قيادة الحلفاء العليا لتقدم الجيوش الانجلو - أمريكية ، وأبرق الى الجنرال ايزنهاور يقول : -

... : اقترح أن نزحف شرقا ، لنتقى مع الروس ، أو لنقيم خطا عاما على نهر الألب ، وأرى أن هذا يتوقف على رأى الروس ، وأن محور كاسيل - لايبزيغ ، هو خير مكان للزحف ، اذ سيضمن اجتياح تلك المنطقة الصناعية الهامة ، التى يعتقد بأن الوزراء الالمان قد انتقلوا اليها ، كما انه سيحيط بالقوات الالمانية شطرين ، ولن يقحمنا فى مشكلة عبور نهر الألب ، وأن هذه الحطة تستهدف تجزئة ما تبقى للعدو من قوات رئيسية فى الغرب وتحيطيها .

هذا هو الاتجاه الاساسى لرحلتنا ، وإذا لم يتضح لنا ان تركيز جميع جهودنا على هذا الاتجاه ، لم يعد ضروريا ، فأننى على استعداد لان أوجه لجميع قواتى لاضمن نجاح هذا الهدف .

وعندما نتأكد من نجاح الاندفاع الرئيسى ، فأننى اقترح القيام بتطهير الموانئ الشمالية ، وهى عماية تساعد على عبور نهر الألب من ناحية كييل ، وسيكون مونتجمرى مسئول عن هذه العمليات ، وأنا اعتزم زيادة القوات العاملة تحت امرته اذا رأيت ذلك ضروريا لإجاء العمل المطلوب منه .

وعلمت أيضا ، أن ايزنهاور ، قد أعلن سياسته هذه فى برقية مباشرة بعث بها الى ستالين فى الثامن والعشرين من مارس ؛ أخبره فيها ، انه بعد عزل نهر الروهر ، سيندفع مباشرة على محور ويرغورت - لايبزيغ - دريسدن ، ليلتقى بالجيوش الروسية ، وليحيط ما تبقى من قوات المانيا ؛ وسيعوم بتقدم فرعى آخر عبر ريفينسبرج الى ليدر ، حيث يتوقع أيضا الالتقاء بالجيوش الروسية وليحول دون تركيز المقاومة الالمانية فى الكمان الموجودة فى جنوبى المانيا .

وقد وافق ستالين فى الحال على اقتراحات ايزنهاور ، وقال بأنها تتفق تمام الاتفاق مع الحطة التى وضعتها القيادة العليا السوفيتية ، واضاف ستالين يقول :

أما برلين فقد فقدت قيمتها الاستراتيجية السابقة ، ولهذا فان القيادة العليا السوفيتية تعتزم تحويل قوات ثانوية فى اتجاه برلين ، ولكن الأحداث التالية كانت تتعارض تماما مع هذا البيان .

وبما كان هذا الموضوع مهما للغاية فقد أبرقت الى الرئيس فى أول ابريل أقول : -

من الواضح أنه اذا نحننا جانبا كل عائق ، وتجاهلنا كل انحراف ، فان الواجب يقضى على جيوش الحلفاء فى الشمال والوسط ، ان تتجه الآن وبأقصى سرعة ممكنة نحو نهر الألب ، وهنا يكون المحور مرتكزا على برلين ، أما الجنرال ايزنهاور ، فبالنسبة الى تقديراته لمقاومة العدو والتى أعلق عليها بدورى أهمية عظمى ، يود الآن أن يوجه المحور نحو

الجنوب ليضرب في اتجاه لايبزيج ، وحتى في اتجاه دريسون في الجنوب البعيد ، واننى لاقول بمنتهى الصراحة ، ان برلين مازالت على جانب كبير من الأهمية الاستراتيجية ، فلا شيء يمكن أن يؤدي الى التأثير نفسيا والايحاء باليأس لجميع قوات المقاومة الألمانية من سقوط برلين نفسها ، انها ستكون الدليل الأكبر على الهزيمة بالنسبة الى الشعب الألماني ، أما اذا تركت منفردة ليحاصر الروس ما تبقى من حطامها ، وليظل العلم الألماني خفاقا فوقها ، فانها ستبعث المقاومة والحيوية عند جميع الألمان الذين يحملون السلاح .

وهناك أيضا ناحية أخرى ، أرى من الجدير بنا ، ان نجعلها موضع الاعتبار ؛ فلا زيب أن الجيوش الروسية ستجتاح جميع أراضي النمسا ، وتدخل الى فيينا ، واذا كانوا هم الذين سيدخلون الى برلين أيضا ، أفلا يؤدي ذلك الى أن الانطباع الذي يحملونه بأنهم هم الذين اسهموا اسهاما أكبر في نصرنا المشترك ؛ سيتركز في عقولهم بشكل لا ضرورة له ، كما يؤدي هذا أيضا الى قيام حالة فكرية لديهم تثير لنا الكثير من المتاعب الخطيرة والقاسية في المستقبل ، ولهذا فأنى أرى من الناحية السياسية أن علينا ان نسرع بالزحف شرقا الى ألمانيا بأقصى سرعة ، حتى اذا وقعت برلين في قبضتنا فأننا نستولى عليها ، ويبدو لي أن هذا الرأي سليم من الناحية العسكرية أيضا .

ولكن حالة الرئيس الصحية ، كانت في هذا الوقت ؛ قد ساءت الى الحد الذي أصبح فيه ، الجنرال مارشال ، هو الذي يعالج هذه القضايا الخطيرة ، وان كنت لم أكن أعرف هذه الحقيقة ، وقد رد المسئولون في الولايات المتحدة بما معناه ، ان خطة ايزنهاور تبدو متفقة مع الاستراتيجية المتفق عليها ومع توجيهات واشنطن ، فقد كان يوزع عبر الراين في الشمال أقصى ما يمكن استغلاله من قوات . أما المجهود الثانوى الى الجنوب ، فقد كان يحقق نجاحا بارزا ، ويجرى استغلاله بقدر ما تسمح به ظروف التموين ، كما أنهم على ثقة من أن عمل القائد الأعلى ، سيضمن الموانئ وكل ما ذكره البريطانيون بصورة أكثر حسما من الخطة التي يقترحها البريطانيون .

وقالوا ان معركة ألمانيا قد وصلت الى الحد الذي يجب أن يتترك فيه الى قائد الميدان ، الحكم على الاجراءات التي يجب عليه أن يتخذها ، وأن يقرر بنفسه هذه الاجراءات ، وليس من الحكمة في شيء أن نبعد أنظاره بصورة متعمدة عن استغلال ما يبدو على العدو من ضعف ، فالهدف الوحيد يجب أن يكون النصر السريع الكامل ، وعلى الرغم من أن واشنطن تدرك وجود عوامل لا تعنى القائد العام مباشرة ، الا أنهم يرون أن مفاهيمه الاستراتيجية سليمة كل السلامة .

كما أكد لي ايزنهاور نفسه ، انه غير غافل مطلقا عن الأهمية العظمى في الزحف نحو الساحل الشمالى ، على الرغم من أن برقيتك التي أرسلتها الى والتى ترغبون فيها تحقيق أهداف ذات أهمية عظمى بالنسبة للسياسة

العامه ، وانى لأرى النقطة التى أشرت اليها فى هذا الصدد بكل وضوح .
كما انه لكى أضمن نجاح مجهود من المجهودات التى خططت لها ، فاننى
أركز جهودى أولا على الوسط ، لأحصل على الوضع الذى أحتاج اليه ،
وأرى كما يبدو لى الآن ، أن الخطوة التالية التى يجب أن نقوم بها ، هى
أن نسمح لمونتجمرى بعبور نهر الألب ، وأن نعزز قواته بما نقضى به
الضرورة من قوات أمريكية ليصل الى خط يضم لوبيك على الشاطئ ،
وإذا كانت المقاومة الألمانية من الآن فصاعدا ، ستتهار حتما ، ففي وسعك
الا ترى فرقا كبيرا فى الزمن ؛ بين ما أراه من كسب موضع فى الوسط ،
وما تراه أنت من عبور نهر الألب ، أما اذا كانت المقاومة الألمانية ستستمر ،
فاننى أرى من الضرورى جدا ؛ أن أركز كل مجهود على حدة ؛ ولا أسمح
لنفسى بالتشتت والضياع فى محاولة القيام بجميع المشروعات فى وقت
واحد .

ومن الطبيعى ، أنه اذا وقع الانهيار فجأة فى أية لحظة وفى كل مكان
من الجبهة فسندفع الى الامام بسرعة وسنكون لوبيك وبرلين بين
أهدافنا المهمة .

وبعد أن شكرته قلت له اننى لا أزال أعلق أهمية كبرى على دخول
برلين وهى كما يبدو من رد موسكو ، مفتوحة أمامنا ، اذ قالت فى البرقية ،
ان برلين قد فقدت أهميتها الاستراتيجية السابقة ، واننى أرى من
الأهمية بمكان عظيم أن نلتقى بالروس فى ابعاء نقطة الى الشرق ، مهما
كانت الأسباب ، اذ قد تحدث أشياء كثيرة فى الغرب قبل أن يبدأ ستالين
هجومه الرئيسى .

ورأيت من واجبى أن أنهى هذا النقاش ، وان أسجل اعتقادى
بأنه لا بد أن تكون قد تغلبت على واشنطن أراء أطول مدى وأوسع أفقا
كما أنه من الحق أن يقال ان التفكير الأمريكى ، لا يهتم مطلقا بالقضايا
التي تبدو ذات علاقة بالتوسع الاقليمى ، وقد اتضح لى أن نقاط الخلاف
بيننا لم تكن كبيرة الأهمية بالنسبة الى قادة الولايات المتحدة ، ولكن
هذه النقاط قد لعبت دورا مهيما فى مصير أوروبا .

وفى وسعنا الآن أن نرى الفجوة المخيفة التى قامت بين اضمحلال
قوة الرئيس روزفالت ، ونمو قوة الرئيس ترومان وسيطرته على
المشكلات العالمية ، ففي هذا الفراغ المحزن ، لم يكن فى وسع رئيس فى
طريق الرحيل عن الحياة أن يعمل ، ولا فى وسع رئيس جديده أن
يعرف ، ولم يكن القادة العسكريون ؛ ولا رجال وزارة الخارجية يتلقون
التوجيه الذى يحتاجون اليه ، فالأوائل حصروا أنفسهم فى مجالاتهم
المهنية ؛ والآخرون لم يفهموا القضايا الخطيرة التى تنطوى عليها
الاحتمالات ، وهكذا فقد التوجيه السياسى الذى لا مندوحة عنه ، فى
اللحظة التى كان الجميع فى أشد الحاجة اليه ؛ ووقفت الولايات المتحدة
على مسرح النصر مهيمنة على مصير العالم ، دون أن يكون لها تصميم
صاديق أو منسجم ، أما بريطانيا فعلى الرغم من قوتها الكبيرة جدا ،

لهقد كانت عاجزة عن تقرير الامن بشكل حاسم وحدها ؛ ولم يكن في وسعي في هذه المرحلة أن أفعل غير التحذير والرجاء .

وهكذا فقد أصبحت هذه الذروة من النجاح الظاهري الذي لا حدود له من أكثر اللحظات المأساوية وشقاء على نفسي ، وكنت أسير بين الحشود الهاتفة أو أجلس الى المائدة التي ازدانت برسائل التهاني والتبريك ، وقلبي ينصهر بالالم كما كان عقلي واقفا تحت كابوس من المخاوف والقلق .

فلقد جاء تحطيم القوة العسكرية الألمانية معه بتبدل جوهرى في العلاقات بين روسيا الشيوعية والديموقراطيات الغربية ، فبعد أن تحطم عدوهما المشترك ، الذي كان هو الرباط الوحيد الذي يشدهما ويوحد بينهما ، بدأت الاستعمارية الروسية والعقيدة الشيوعية في فرض سيطرتهم المطلقة التي لا تحدها قيود .

وما كنت لأكتب هذه القصة الآن ، بعد أن اتضح كل شيء في ضوء النهار الساطع ، لو لم أكن آن ذاك أعرف كل شيء ، وأحسن بكل شيء عندما كان كل ما حولنا غامضا ؛ وكان النصر الذي حققناه ، يضاعف من هذه الظلمة الداخلية في القضايا الانسانية ، واننى أترك للقارىء وحده أن يحكم لنا أو علينا .

«التاريخ الحديدي»

بعد أن مرت عدة أسابيع على مؤتمر يالته ، أتضح لنا أن الحكومة السوفيتية لم تنفذ ما اتفقنا عليه ، حول زيادة عدد رجال الحكومة البولندية ، لتشمل جميع الأحزاب البولندية ، والفريقين المتنازعين ، كما رفض مولوتوف أن يعطى رأيا في البولنديين الذين ذكرنا أسمائهم ولم يسمح لأى منهم بالمجيء حق ولا الى مؤتمر تمهيدى على مائدة مستديرة وكان قد عرض علينا لارسال مراقبين الى بولندا ، ألا أننا عند ما أبدينا استعدادنا لذلك ، أفزعنا قبول هذا العرض السريع ؛ واحتج بأمور عدة ، منها ؛ ان هؤلاء المراقبين ؛ قد يقللون من سمعة الحكومة البولندية المؤقتة في لوبلين ، ولذا فان محادثات موسكو لم تحقق أى تقدم ، وكان الوقت الى جانب الروس وانصارهم من البولنديين الذين أخذوا يشددون قبضتهم على البلاد بمختلف الوسائل ، والاساليب ، التى لم يكونوا راغبين فى اطلاع العالم الخارجى عليها عن طريق المراقبين .

وفى احدى الامسيات ، عند ما كنت أتحدث فى مجلس العموم عن نتائج جهودنا فى مؤتمر يالته ، وقع أول نقض لاتفاقائنا فى رومانيا من جانب الروس ، مع أننا كنا قد التزمنا فى الاعلان الذى أصدرناه عن أوروبا المحررة ، والذي وقعناه قبل مدة قريبة ؛ بأن نضمن انتخابات حرة قيام حكومات ديموقراطية فى البلاد التى تحتلها جيوش الحلفاء .

ولكن فيشننسكى الذى وصل الى بوخارست فجأة فى السادس والعشرين من شهر فبراير ، طلب فى اليوم التالى ، مقابلة الملك ميخائيل وأصر على وجوب طرد الحكومة الممثلة لجميع الأحزاب والتى تم تأليفها بعد الانقلاب الملكى فى شهر اغسطس عام ١٩٤٤ والتى قامت بطرد الألمان من رومانيا ، الا أن الملك يؤيده وزير خارجيته قيسويانو أجل هذه الطلبات حتى اليوم التالى ، وعندما قام فيشننسكى بزيارة الملك ثانية رفض طلب الملك السماح له على الأقل باستشارة زعماء الأحزاب السياسية ، وضرب بقبضة يده على المائدة ، وصرخ طالبا الأذعان الفورى ثم خرج من الغرفة بعد أن رد الباب وراءه بعنف ، وفى هذه الأثناء انتشرت القوات السوفيتية بدباباتها فى شوارع العاصمة ، وتولت الحكم الادارة التى اختارها الروس فى السادس من شهر مارس .

وقد أزعجتنى هذه الأنباء كل الأزعاج ، لانها كانت دليلا على ما يجب أن ننتظره من أحداث ، لكننا لم نستطع الاحتجاج ؛ لانى كنت قد وافقت أنا والمستتر ايدن فى أثناء زيارتنا لموسكو فى شهر ديسمبر الماضى على أن تكون لروسيا الكلمة الأولى فى رومانيا وبلغاريا ، وان

تكون لنا الكلمة الاولى فى اليونان ، وكان ستالين قد حافظ باخلاص ودقة على هذا الاتفاق ، طيلة الاسابيع الستة التى دار فيها القتال ضد الشيوعيين وضد جيش التحرير « ايلاس » فى مدينة اثينا .

وقد كنت آمل ، بعد أن عاد الهدوء والسلام الآن فى اليونان ، أننا سنتمكن فى الاشهر القليلة القادمة من اجراء انتخابات حرة نزيهة واننا بعد ذلك سنتمكن من ضمان قيام دستور وحكومة طبقا لارادة الشعب اليونانى التى لا تعارض ولا تقاوم .

ولكن ستالين كان يسير فى البلدين الآخرين الواقعين على البحر الاسود على سياسة مغايرة تماما لسياستنا ؛ بل ومتعارضه تماما مع كل فكرة ديموقراطية ، وكان قد أقر على الورق مبادئ بالته ، وما هو يدوس عليها بقدمه فى رومانيا ؛ وكنت أخشى اننى اذا ضغطت عليه ، أن يرد على قائلا : « اننى لم أ تدخل فى عملكم فى اليونان ، فلماذا لا تعطوننى الفرصة نفسها فى رومانيا » ، كما كنت أخشى بصورة خاصة ، أن تقوم هذه الحكومة بعمليات تطهير عمياء ضد العناصر المعادية للشيوعية فى رومانيا على غرار ما هو متبع الآن فى بلغاريا .

وهكذا أخذت السياسة السوفيتية تزداد وضوحا يوما بعد يوم ، كما أخذ يتضح لنا ما تجنيه من فوائد ، عن طريق سيطرتها المطلقة التى لا رقابة عليها ولا اشراف على بولندا ؛ حيث طلب الروس أن تمثل بولندا فى المؤتمر المقبل الذى سيعقده الامم المتحدة فى سان فرانسيسكو ، وإن يقتصر هذا التمثيل على حكومة لوبلين ، وعندما رفضت الدول الغربية هذا الطلب ؛ رفض السوفييت السماح لمولوتوف بحضور المؤتمر ، وكان هذا التطور يهدد أى تقدم فى سان فرانسيسكو بل ويهدد الفكرة نفسها بالفشل ، وقد أصر مولوتوف على ان بلاغ بالته لا يعدو أن يكون مجرد اضافة عدد صغير آخر من البولنديين الى الحكومة القائمة من « الدمى » الروسية ، واحتفظ فى أن يستعمل « الفيتو » ضد ماجولاجيك ، وضد غيره من البولنديين الذين نقترح اسماءهم .

وكان من الواضح أن هذا الاسلوب يرمى الى التسويق والمماطلة فى الوقت الذى تكون فيه لجنة لوبلين ماضية فى تثبيت أقدامها وسلطانها ، ولم تؤد المفاوضات التى قام بها سفراءنا الى أى أمل فى الوصول الى تسوية بولندية مشرفة .

وكنت على ثقة ، من أن خير طريقة لايقاف مولوتوف عند حده ، هى أن أبعث برسالة شخصية الى ستالين ، ولذلك فقد ناشدت الرئيس أن توجه رسالة مشتركة على أرفع مستوى ، ولكن لسوء الحظ ، كان المرض قد اشتد عليه ، وكان اتجاه وزارة الخارجية منصرفا الى تجنب تأزيم الامور والرئيس فى هذه الحالة من الضعف ؛ والى القاء العبء على السفراء فى الخارج وفى موسكو بالذات . حقا لقد كانت أساليب باهظة الثمن كلفتنا جميعا الغالى من النتائج .

وفى هذه الاثناء كانت تدور بين الحكومتين البريطانية والامريكية

من ناحية وبين السوفيت من ناحية أخرى رسائل أكثر مرارة وأهمية تتناول قضية مختلفه كل الاختلاف عن هذه القضايا ، فقد أدى تقسم الجيوش السوفيتية وانتصارات اليكساندر في ايطاليا ، وفشل الهجوم الألماني المضاد في الاردن ، وزحف ايزنهاور على الراين ، الى اقناع جميع الألمان ماعدا هتلر ، وأفراد بطانته الأقربين ، بأن استسلام ألمانيا أصبح أمرا لا مفر منه ولا مناص ، وكسان السؤال الذي يتوارد في خواطرهم ، ترى لمن يجب أن نستسلم ؟ ولما كان لم يعد في وسع ألمانيا أن تخوض حربا في جبهتين ، كما كان الصلح مع السوفييت أمرا محالا كما هو الظاهر ، فلم يبق أمامهم الا الحلفاء في الغرب ؛ وكانوا يسألون أنفسهم ، ألا يمكن والحالة هذه أن نعقد هدنة مع بريطانيا وأمريكا ؟ فلو تمكنوا من عقد هدنة مع الغرب ، فإن في وسعهم أن يركزوا قواتهم لوقف الزحف الروسي ، وكان هتلر وحده الذي يعارض في ذلك ، حيث قد انتهى الرايخ الثالث ، وعزم على ان يموت معه ؛ وقد حاول عدد من أتباعه اجراء اتصالات سرية مع الحلفاء الغربيين ، ولكن جميع اقتراحاتهم رفضت بالطبع ، وكان شرطنا الوحيد الاستسلام بلا قيد أو شرط في جميع الجهات ، كما سمع في الوقت نفسه لقوادنا في الميدان بصلاحيات مطلقة لقبول أية استسلامات عسكرية من جانب قوات العدو التي تواجههم ، وقد أدت المحاولة الى ترتيب ذلك - في الوقت الذي كنا لا نزال نحارب فيه على حوض الراين - الى سوء تفاهم بين الروس وبين الرئيس الأمريكي الذي وقفت الى جانبه .

فقد اتصل الجنرال كارل وولف قائد قوات الحرس الهتلري في ايطاليا في شهر فبراير عن طريق الوسطاء الايطاليين ، بدوائر المخابرات الأمريكية في سويسرا ، وقرر فحص وثائق اعتماد الاشخاص الذين شملهم الاتصال ، وأعطى للواسطة الاسم الرمزي « الكلمات المتقاطعة » .

وجاء الجنرال وولف نفسه في الثامن من مارس الى زيوريخ ، وقابل المستر الن دالس رئيس منظمة المخابرات الأمريكية ، وقد قيل له بحزم وصراحة ، « ان ليس ثمة مجال لأية مفاوضات من أي نوع » ، وان المضي في الاتصالات يجب أن يستهدف الاستسلام بلا قيد ولا شرط ، ولا شيء غيره ، وقد نقلت هذه المعلومات بسرعة الى مقر قيادة الحلفاء في ايطاليا والى الحكومات الأمريكية والبريطانية والسوفييتية ، كما وصل الى سويسرا في الخامس من مارس رؤساء أركان الحرب البريطانيين والأمريكيون في سايبسترا بايطاليا ، متكررين ، وعقدوا بعد أربعة أيام اجتماعا استطلاعيا آخر مع الجنرال وولف .

وقد أدركت على الفور ، ان شكوك الحكومة السوفييتية قد تثار من جراء استسلام عسكري منفصل في الجنوب يمكن جيوشنا من التقدم دون مقاومة الى فيينا والى ماوراءها ، وحتى الى نهر الألب وبرلين ويضاف الى هذا ، انه لما كانت جميع الجبهات المحيطة بألمانيا جزءا لا يتجزأ من حرب شاملة ضد ألمانيا ، فان الروس سيتأثرون بطبيعة الحال ؛ من أي عمل قد يقع في أية جبهة من هذه الجبهات .

وإذا كنا سنجرى أية اتصالات مع العدو ، رسمية أو غير رسمية ، فيجب اطلاعهم عليها قبل حدوثها ، وقد اتبعت هذه القاعدة بصورة حتمية ، وأبلغ السفير البريطاني فى موسكو ، الحكومة السوفيتية فى الثانى عشر من شهر مارس ، نبأ الاتصال الجديد ، والمتوقع حدوثه مع الالمانيين ، وأكد لها أن أى اتصال لن يتم قبل وصول الرد الروسى ، وفعلًا لم تكن هناك أية محاولة لاختفاء أى شىء عن الروس ، وفى الثالث عشر من مارس أبلغنا الروس ، أنه إذا ثبت أن « الكلمات المتقاطعة » ذات أهمية جدية ، فإننا سنرحب بالمبعوثين الروس فى مقر قيادة اليكساندر ، وبعد ثلاثة أيام ، أبلغ مولوتوف السفير البريطانى فى موسكو ، أن الحكومة السوفيتية تجد موقف الحكومة البريطانية ، « مما لا يمكن تفسيره أو فهمه ، بالنسبة لرفضها منع التسهيلات اللازمة للروس لأرسال مبعوثيهم الى بون » ، كما سلمت الحكومة السوفيتية مذكرة مماثلة الى السفير الأمريكى .

وصدرت التعليمات الى سفيرنا فى موسكو ، بإبلاغ الحكومة السوفيتية ثانية ، أن الغرض الوحيد من الاجتماعات ، كان للتأكد من أن الالمان كانوا يملكون الصلاحيات للتفاوض على استسلام عسكرى ، وأن النية متجهة الى دعوة المبعوثين الروس للمجيء الى مقر قيادة الحلفاء فى سايبسترا ، وقد نفذ السفير هذه التعليمات ولكن مولوتوف سلمه فى اليوم التالى ردا تضمن الآتى : -

« كانت المفاوضات تدور فى بون » خلال أسبوعين ، من وراء ظهر الاتحاد السوفيتى الذى يحمل وحيدا عبء الحرب ضد المانيا ، « بين ممثلين للقيادة العليا الالمانية من ناحية وممثلين للقيادتين الانجليزية والأمريكية من الناحية الأخرى » .

وقد أوضح السير ارشيبالد كلاوك كبير بالطبع ، أن السوفيت قد أساموا فهم ما وقع ، وأن هذه المفاوضات لم تكن أكثر من مجرد محاولة لاختبار وثائق اعتماد الجنرال وولف وصلاحياته ، ولكن تعليق مولوتوف كان جافا ومهينا ، فقد كتب يقول « اذن ففى مثل هذه الحالة ، لا ترى الحكومة السوفيتية مجرد سوء تفاهم ، بل ماهو أسوأ من ذلك ، كما حمل على الحكومة الأمريكية بالاسلوب نفسه » .

ولهذا فقد رأيت من الضرورى اطلاع كل من مونتجرى وايزنهاور على رسالة مولوتوف . .

وقد انزعج الجنرال ايزنهاور انزعاجا شديدا من هذه الرسالة وبأن عليه النضرب من جراء ما اعتبره تهما غير عادلة ولا أساس لها من الصحة ، وقال انه كقائد عسكرى ؛ مستعد لقبول أى استسلام غير مشروط من أية مجموعة من قوات العدو فى جبهته ، مهما كان حجم هذه المجموعة ، سواء كانت سرية أو جيشا بأكمله وأنه يعتبر هذا الموضوع قضية عسكرية بحتة ، وأن لديه السلاطات الكاملة لقبول مثل هذا الاستسلام ، دون أن ينتظر معسرة رأى أى انسان ، أما إذا ظهرت مسائل سياسية ؛ فإنه على استعداد لاستشارة الحكومات المعنية فورا ،

كما اعرب عن خشيته من أن اقحام الروس فى موضوع احتمال استسلام قوات كيسلرنج وهو احتمال يستطيع هو أن يبت فيه بنفسه ، فى غضون ساعة ، قد يؤدى الى اطالة امد المحادثات ثلاثة أسابيع أو أربعة ، مما لا ينتج عنه الا شيء واحد ، وهو إلحاق خسائر فادحة بقواتنا ، وأوضح أنه سيصر فى حالة وقوع استسلام ، ان تضع جميع القوات العاملة تحت امره القائد طالب الاستسلام أسلحتها ، وان تقف دون أى عمل الى أن تتلقى أوامر جديدة ، بحيث لاتتاح لها الفرصة ، للانتقال عبر المانيا لمقاومة الروس مثلا .

وكنت أرى ان هذه القضايا ، يجب أن تترك لتقدير القائد العسكرى نفسه ، وان على الحكومات الا تتدخل الا فى حالة ظهور مشكلات سياسية ، ولم أستطع ان أرى ، لماذا يجب أن نأسى وان نتالم ، اذا تمكنا عن طريق استسلام جماعى فى الغرب من الوصول الى نهر الألب ، أو الى ما وراءه قبل ستالين ، ويذكرنى جوك كولفيل بأننى قلت له تلك الليلة :

« اننى لا أحب التفكير فى تجزئة المانيا قبل أن تتبدد شوكى تجاه نوايا روسيا » .

وتلقيت فى الخامس من ابريل ، من الرئيس روزفلت ، النصوص المذهلة للمخابرات التى جرت بينه وبين ستالين .

فقد كتب ستالين يقول : « لاشك فى أنك محق كل الحق ، انه بالنسبة الى القضية المتعلقة بالمفاوضات بين القيادة الانجلو - أمريكية ، والقيادة الألمانية ، فى مكان ما بين أو فى غيرها ، فان جوا من الشكوك والمخاوف يستحق الأسف ، قد خلق بيننا » .

« وانك لتصر على أن أية مفاوضات لم تدر بعد ، وقد يقال انك لم تطلع على الموضوع تماما ، أو لم يطلعوك عليه ، ولكن زملائى من العسكريين لا يساورهم أدنى شك فى أن المفاوضات قد وقعت فعلا ، وانها انتهت بالاتفاق مع الالمان على أساس قيام القائد الالمانى فى « الجبهة الغربية » المارشال كيسلرنج بفتح جبهته ، والسماح للقوات الانجلو - أمريكية ، بالتقدم شرقا ، فى حين وعد الانجلو ، أمريكيون الالمان بمقابل ذلك بتسهيل بنود الصلح وتخفيفها .

« وكنتيجة لهذا ، فان الالمانيين فى الوقت الحاضر ، قد توقفوا فعلا عن الحرب ضد انجلترا والولايات المتحدة ، فى حين هم يواصلون فى الوقت نفسه الحرب ضد روسيا ، حليفة انجلترا والولايات المتحدة » .

وقد أغضب هذا الاتهام الرئيس روزفلت ، ولم تكن صحته لتسمح له بأن يكتب رده بنفسه ؛ فقام الجنرال مارشال بصياغة الرد الذى وافق عليه روزفلت ، وجاء فيه :

« ثقة منى بأنك لاتشك فى استقامتى الشخصية ، وتصميمى منى على الحصول معك على استسلام غير مشروط من النازيين ، يدهشنى أن أسمع بأن الحكومة السوفييتية قد تسلط عليها الاعتقاد بأننى قد

توصلت الى اتفاق مع العدو ، دون أن أحصل مقدما على موافقتك التامة ، وأود أن أقول أخيرا : انها ستكون من أشد مآسى التاريخ ايلاما ، اذا كنا فى ساعة النصر الذى أصبح فى متناول ايدينا ، ثم يقوم بيننا مثل هذا الجو من عدم الثقة ، والافتقار الى الايمان ، مما يؤثر حتما على كل ما قمنا به بعد هذه التضحيات الكبيرة فى الأرواح والأموال والموارد .

وأود أن أصارحك بأننى لا أستطيع أن أكتف الشجعور بالسخط الشديد على مخبريك ، أيا كانوا ، على مثل هذا التشويه اللئيم لتصرفاتى وتصرفات مساعدى الموثوق بهم .

وقد كتبت اليه فورا ، كما كتبت أيضا الى ستالين ، وتلقيت بعد بضعة أيام شيئا يشبه الاعتذار من الديكتاتور الروسى ، وأبرق الى الرئيس فى الثانى عشر من ابريل يقول : « أفضل أن أقلل من المشكلة السوفييتية العامة الى أقصى حد ممكن ، لأن مثل هذه المشكلات تبدو كل يوم تقريبا ، وان بعضها يصل الى حد الازمة ، كما وقع فى حادث اجتماع بون ، وعلينا أن نكون على كل حال متماسكين ، وأعتقد أن السبيل الذى اختططنا كان صحيحا » .

هذا وقد توفى الرئيس روزفلت فجأة بعد ظهر الخميس الثانى عشر من شهر نيسان عام ١٩٤٥ ، وعندما تلقيت هذا النبأ شعرت وكأننى قد أصبت بصدمة قوية على رأسى ، وأحسست بشعور عميق يفمرنى للخسارة الفادحة التى لا تعوض ، وقد اقترحت على مجلس العموم ان نفى جلستنا اليوم اكراما لذكرى الفقيد العظيم .

وكان أول خاطر جال فى فكرى ، أن أطيح الى واشنطن لحضور الماتم ، وفعلا أصدرت أوامرى بأعداد الطائرة ، وقد أبرق الى اللورد هاليفاكس يقول : ان هوبكنز وستينينيوس قد تأثرا أشد التأثير من فكرتى بالمجئ ، ووافقا بحرارة على قرارى ، الذى قد ينتج عنه الكثير من الخير ، كما طلب اليه المستر ترومان ابلاغى انه قدر شخصيا كل التقدير أن تتاح له الفرصة للقائى فى أقرب وقت ممكن . وأن أطل بعد تشييع الجثمان يومين أو ثلاثة لنتحدث معا .

ومع ذلك فقد تعرضت لضغط هائل ، بالا اغادر البلاد فى هذه الفترة الحرجة والكثيرة المصائب ، ووجدت نفسى مرفعا على الأذعان لرغبات اصدقائى ، أما الآن وعلى ضوء ماحدث بعد ذلك فاننى لأسف أشد الأسف على تخلفى عن تلبية اقتراح الرئيس الجديد ، لانه لم يسبق لى أن اجتمعت به ، واننى لاشعر بأنه كانت هناك نقاط عدة يكون الحديث الشخصى بصدددها مهما كل الأهمية ، ولاسيما اذا دارت هذه الأحاديث فى أيام عدة ، ولم ترتجل ، أو تتخذ شكلا رسميا مختصرا ، كما بدا لى « أن من الغرابة بمكان عظيم ، ولاسيما فى بضعة الأشهر الأخيرة » ان روزفلت لم يحاول أن يجعل خلفه المحتمل مطالعا تمام الاطلاع على الأحداث كلها ، كما لم يقحمه مطلقا فى القرارات التى كانت تتخذ فى ذلك الحين ، وقد

برهنت هذه السياسة على ضرر كبير لحق قضايانا ، فليس ثمة وجه للمقارنة بين أن يقرأ الانسان الحوادث فيما بعد ، وبين أن يعيش فيها ساعة بعد أخرى ، فكيف يمكن للمستتر ترومان أن يعرف جميع القضايا ذات الخطورة ، ونحن في ذروة الحرب وان يزنها ؟ ولقد دل ما عرفناه عنه فيما بعد على أنه رجل جرى وذو عزيمة وقادر على اتخاذ أخطر القرارات وأعظمها ، إلا أن مركزه في الأشهر الأولى كان صعبا كل الصعوبة ، ولم يمكنه من اظهار مواهبه البارزة الى حين التنفيذ .

وكان أول عمل سياسي قام به المستر ترومان في الشئون التي تعيننا ، الاهتمام بالقضية البولندية ، من النقطة التي توقفت عندها ، وقد اقترح ان توجه بيانا مشتركا الى ستالين .

كما اعترف بأن موقف ستالين لا يوحى بالكثير من الامل ، ولكنه أكد ضرورة قيامنا « بخطوة جديدة » واقترح تبعا لذلك ، أن نبليغ ستالين ، ان سفيرينا في موسكو قد وافقا دون تردد على دعوة ثلاثة من قادة حكومة وارسو الى موسكو للتشاور ، وأن تؤكد له باننا لا ننكر مطلقا على حكومة وارسو الحق في أن تلعب دورا بارزا في تأليف حكومة الوحدة القومية البولندية المؤقتة ، وكانت المشكلة الحقيقية هي : هل تستطيع حكومة وارسو أن تضع « الفيتو » على اسماء أي المرشحين للتشاور ؟

وقد بعثنا برسالتنا المشتركة في الخامس عشر من ابريل ، وكان المسيو ميكولاجيك في اثناء ذلك قد قبل قرارات مؤتمر القرم المتعلقة ببولندا وفي ضمنها تخطيط حدودها الشرقية على أساس خط كرزون ، فأبلغت ستالين بموافقته ، ولما كنت لم أتلق ردا ، فقد ظننت أن الديكتاتور قد رضى عن هذه النتيجة ، هذا وقد ابرق الى المستر ايدن من واشنطن يقول : انه متفق مع المستر ستيتينوس على ضرورة تجديد طلبنا بايفاد المراقبين الى بولندا ، وأن علينا من جديد أن نضغط على الحكومة السوفيتية لوقف مفاوضاتها لعقد معاهدة صلح مع لجنة لوبلين ، ولكن ما كادت هذه البرقية تصل إلينا حتى حملت إلينا الانباء ان المعاهدة قد تم توقيعها .

وعند ما تبين لى اننا لن نصل الى أى شيء ، أرسلت في التاسع والعشرين من ابريل البرقية التالية شارحا فيها وجهة نظري كلها :

« ان من الحق أن يقال اننا وصلنا مع بولندا الى خط محدود من العمل بالاتفاق مع الامريكيين ، واننا نشعر معا وبإخلاص ، بأن معاملتنا قد تغيرت منذ مؤتمر القرم ، حيث كنا متفقين مع الامريكيين على أن العهد الذي قطعناه على أنفسنا ، بقيام دولة مستقلة وحررة ذات سيادة في بولندا ، ولها حكومتها التي تمثل جميع العناصر الديمقراطية بين البولنديين ، هو قضية واجب وكرامة بالنسبة إلينا وأنا لا أرى أى أمل هناك في أى تبديل في موقف دولتنا . »

لقد وافقناك بصورة عامة في مطلع عام ١٩٤٤ على مشروعك لتخطيط الحدود البولندية - الروسية ، وفقا لخط كرزون ، مع إضافة لوار الى روسيا ، وأرى أن عليك أن تقابلنا في منتصف الطريق تجاه السياسة التي اشتركت أنت معنا في إعلانها ، وهي سيادة بولندا واستقلالها وحريتها على شرط أن تكون صديقة لروسيا .

« وهناك متاعب أخرى في الوقت الحاضر ، بسبب هذه القصص المختلفة التي تخرج من بولندا ، والتي قد تثار في المجلس أو في الصحف في أية لحظة على الرغم من الجهود التي أبدلها للحيلولة دون ذلك ، وعلى الرغم من أن المسيو مولوتوف يضمن علينا بأية معلومات في صدها متجاهلا طلباتنا المتكررة ، فهناك ، مثلا قصة أولئك البولنديين الخمسة عشر ، الذين قيل أنهم قابلوا السلطات الروسية ، قبل نحو من أربعة أسابيع للبحث معها ، كما أن هناك قصصا أخرى تتناول أشخاصا قيل أنهم أبعدوا من البلاد ، وما شابه ذلك من قصص ، فكيف يسعى أن أرد على هذه الشكاوى عندما لا أحصل منكم على أية معلومات ، وعندما لا يسمح لنا ولا للأمريكيين بارسال أى شخص الى بولندا ، ليرى بنفسه حقيقة ما يدور فيها ، مع أنه ليس هناك أى جزء من المناطق التي حررتها أو نحتلها لا تستطيعون أن ترسلوا اليه بعثاتكم ، ولا تعرف ما الذي يحول بينكم وبين قبول زيارات مماثلة تقوم بها وفود بريطانية الى بلاد أجنبية قمتم أنتم بتحريرها .

وليس هناك من آمال مشرقة ، اذا تطلعنا الى المستقبل ، فرأيناكم فيه مع البلاد التي تسيطرون عليها ، ومع الاحزاب الشيوعية في العديد من الدول الأخرى ، تقفون في صف واحد ، في حين يقف في الجانب الآخر أولئك الذين يؤيدون الدول الناطقة بالانجليزية وشريكاتها وممتلكاتها المستقلة ، ومن الواضح أن النزاع بين الفريقين سيمزق العالم الى أشلاء ، وسيحل بنا العار جميعا نحن المسئولين عن تولى القيادة أمام التاريخ ، يضاف الى هذا أن الاستمرار في فترة طويلة من الشكوك والاهانات والرد عليها بمثلها ، والسياسات المعارضة ، سيكون بمثابة كارثة تعرقل التطورات العظيمة للرخاء العالمى بالنسبة الى الجماهير .

وأرجو يا صديقي ستالين ألا تقلل من الخلافات التي بدأت تظهر حول قضايا قد تعتبرها صغيرة بالنسبة لنا ، ولكنها قد تكون معبرة عن الطريقة التي تنظر بها الديمقراطية الناطقة بالانجليزية الى الحياة . . .

وأرى لزاما على هنا أن اسجل حادث البولنديين المفقودين الذي اشرت اليه في الفقرة الثانية من البرقية ، والتي أصدرت أيضا بشأنه الحكومة البولندية في المنفى ، بيانا في لندن في السادس من أبريل كشفت فيه الخطوط العريضة لهذه القصة الغريبة ، فقد اختفى الرعماء البارزون لحركة المقاومة السرية البولندية دون أن يتركوا أثرا يدل عليهم ، على الرغم من الضمانات التي تلقوها بالمحافظة على

سلامتهم ، وقد وجهت بسببهم أسئلة عدة في البرلمان البريطاني ، كما نغلت قصص عدة عن اغتيال الزعماء البولنديين المحليين في المناطق التي تحتلها الجيوش الروسية واعدادهم ، وكان من أفضح هذه القصص ما وقع في سيدلن في شرق بولندا ، ولم يعترف مولوتوف الا في الرابع من مايو وهو في سان فرانسيسكو بأن هؤلاء القادة معتقلون في روسيا ، ثم ذكرت وكالة الانباء الروسية في اليوم التالي ، أنهم ينتظرون محاكمتهم بتهمة القيام بأعمال تخريبية في مؤخرة الجيش الأحمر .

وقد أعلن ستالين في الثامن عشر من مايو رسميا ، أن هؤلاء الزعماء المعتقلين لم يدعوا مطلقا الى موسكو ، وأكد أنهم اعتقلوا لانهم مخربون ، وسيحاكمون بموجب قانون « يشبه قانون الدفاع عن المملكة في بريطانيا » وبذلك فانه لم يعد أحد يسمع شيئا عن ضحايا هذا الفخ ، حتى بدأت محاكمتهم في الثامن عشر من يونيو ، وقد جرت هذه المحاكمات وفقا للطريقة الشيوعية ، المعهودة ، فقد اتهموا بالتخريب والارهاب والتجسس ، واعترفوا جميعا باستثناء واحد منهم بجميع التهم التي وجهت اليهم أو ببعضها على الأقل ، وادين ثلاثة عشر منهم وصدرت عليهم أحكام بالسجن متفاوتة ، أقصاها عشر سنوات ، في حين برئت ساحة ثلاثة منهم ، وكانت هذه هي التصفية القضائية لقيادة الحركة السرية البولندية التي قاتلت ببطولة ضد هتلر ، أما رجال هذه الحركة من الافراد العاديين فقد ماتوا تحت أنقاض وارسو .

وفي أثناء ذلك تلقيت ردا على ، غير مشجع من ستالين بتاريخ خمسة مايو وهذا نصه : -

« أرى لزاما على أن اذكر عدم موافقتي على الحجج التي استندت اليها في تأييد موقفك ولا أستطيع مطلقا أن أشاطرك آراءك ، ولا سيما الفقرة المتعلقة باقتراحك ، بأن تتولى الدول الكبرى الثلاث الاشراف على الانتخابات ، فمثل هذا الاشراف بالنسبة الى شعب دولة حليفة لا يمكن أن يعتبر الا اهانة له ، وتدخل صارخا في شئونه الداخلية ، كما أن هذا الاشراف لم يكن ضروريا بالنسبة لبعض الدول التي كانت ضحية مع ألمانيا سابقا ، ثم عادت فأعلنت الحرب عليها وانضمت الى الحلفاء ، كما هو الحال في فنلندا ، حيث تمت الانتخابات فيها دون تدخل أجنبي ويجب أن يكون وضع بولندا كدولة مجاورة للاتحاد السوفييتي ، أن تكون حكومتها المقبلة صديقة مخلص ، و بهم الامم المتحدة أن تقوم هناك صداقة قوية ودائمة بين الاتحاد السوفييتي وبولندا ، وعلى ضوء هذا فاننا لا نود أن يشترك في تأليف الحكومة البولندية المقبلة رجال كما تصفهم أنت ليسوا معادين للسوفييت مطلقا ، ان هذا التصنيف لا يعجبنا ولا يرضينا ، فنحن نصر وسنصر دائما على أن الذين يؤلفون الحكومة البولندية المقبلة أولئك الذين وقفوا موقفا وديا حقيقيا تجاه الاتحاد السوفييتي ، والذين هم على استعداد حقا وباخلاص وبأمانة للتعاون مع الاتحاد السوفييتي .

أما ما ورد في رسالتك عن المتاعب الناشئة عن شائعة اعتقال خمسة عشر بولنديا وما أشبه ذلك .

فاننى أستطيع أن أبلغك أن تلك الفئة من البولنديين الذين تشير اليهم لا تضم خمسة عشر شخصا فقط ، بل هم ستة عشر برئاسة الجنرال البولندى المعروف أوكوليكي ، وقد اعتقلوا من قبل السلطات العسكرية في الجبهة السوفيتية ، ويجرى التحقيق معهم الآن في موسكو ، لاتهامهم بالقيام بأعمال التخريب في مؤخرة الجيش الأحمر ، مما أدى الى مقتل أكثر من مائة جندى وضابط من رجال هذا الجيش ، كما أن الجنرال أوكوليكي متهم أيضا بالاحتفاظ بمحطات ارسال لاسلكية غير مشروعة في مؤخرة قواتنا مما يتعارض مع القوانين ، وبعد الانتهاء من التحقيق معهم سيقدم جميعهم أو بعضهم الى المحاكمة ، وهذه هى الطريقة التى يشعر الجيش الأحمر بوجود ابلعها لحماية جنوده ومؤخرته من أعمال المخربين والمكبرين لصغو الامن والنظام .

أما ما ينشره جهاز الاستعلامات البريطانى من الشائعات عن قتل البولنديين فى سيديلشى واطلاق النار عليهم ، فهو محض اختلاق، وقد اعتمد فى اذاعتها كما يبدو على الانباء التى تصله من الوكلاء المعادين للسوفييت .

أما ما أوضحته فى رسالتك من أنك لا تعتزم الاعتراف بالحكومة البولندية المؤقتة ، كما أنك لست على استعداد أيضا لاعطاء هذه الحكومة مكانها الشرعى فى الحكومة المقبلة ، فانى أصارحك القول ، بأن هذا الموقف يبعد امكان الوصول الى حل متفق عليه للمشكلة البولندية .

وقد ارسلت نص هذه الرسالة الى الرئيس ترومان ، بعد أن أضفت اليها التعليق التالى : -

« يبدو لى أن الامور لا يمكن أن تخطو خطوة جديدة من طريق الرسائل ، وأن من الواجب عقد اجتماع لرؤساء الحكومات الثلاث فى أقرب وقت ممكن ، وعلينا أن نصعد بثبات للوضع الراهن الذى حصلت عليه قواتنا أو ستحصل عليه فى يوفوسلافيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا ، وفى جبهة الولايات المتحدة الوسطى والجبهة البريطانية ، ويجب علينا أن نصل الى لوبيك والدانمارك ، كما رسمت للمستتر ايدن الذى كان يشهد مؤتمر سان فرانسيسكو ، الصورة الأوروبية كما أراها ، وكان على وشك القيام بزيارة ثانية للرئيس ترومان فى واشنطن كما كان على اتصال يومى بستيتينوس ومولوتوف : وقلت له فيها : -

أعتقد أن الازمة البولندية لا يمكن أن تحل الآن الا فى مؤتمر يعقده رؤساء الحكومات الثلاث فى أية مدينة تكون قد نجت من التدمير فى المانيا ، وأن يعقد هذا المؤتمر فى أوائل شهر يوليو على أكثر تقدير .

وقد يصبح من الاسهل حل المشكلة البولندية اذا ربطت
بالمشكلات البارزة المتعددة ، وذات الخطورة البالغة ، التى تتطلب
تسوية عاجلة مع الروس ، وانى أخشى أن تكون أشياء مخيفة قد
وقعت إبان الزحف الروسى الى ألمانيا عبر نهر الالب ، كما أن الانسحاب
المقترح للجيش الأمريكى الى خطوط الاحتلال التى تم الاتفاق عليها
فى كوبيك ، يعنى امتداد السيطرة الروسية مائة وعشرين ميلا الى
الامام ، على جبهة تمتد ثلثمائة ميل أو أربعمائة ، وسيكون هذا الحادث
أن وقع من أكثر الحوادث الملموسة فى التاريخ ، فبولندا بعد أن تم احتلالها
ستصبح جزءا من الأراضى المدفونة فى المنطقة التى يحتلها الروس ،
وبذلك ستمد الحدود الروسية من رأس الشمال فى النرويج على طول
الحدود السويدية - الفنلندية ، وعبر البلطيق الى نقطة تقع الى الشرق
من لوبيك ، ومن ثم على طول خط الاحتلال المتفق عليه وعلى طول
الحدود بين بافاريا وتشيكوسلوفاكيا الى حدود النمسا ، التى ستكون
اسميا تحت الاحتلال الربامى ، وهكذا فإن المناطق التى ستقع تحت
الإشراف الروسى ، ستشمل دول البلطيق وجميع الأقسام الألمانية
الواقعة الى شرق خط الاحتلال ، وكل تشيكوسلوفاكيا وقسم كبير
من النمسا ، وجميع يوغوسلافيا والمجر ورومانيا وبلغاريا حتى حدود
اليونان ، كما أنها ستضم جميع العواصم المهمة فى أواسط أوروبا
ومنها برلين وبودابست وبلغراد وبخارست وصوفيا ، وسيجرى البحث
فورا فى وضع تركيا والقسطنطينية .

أن هذا الوضع سيكون حدثا لم يسبق له مثيل ، ولم يواجهه
الحلفاء فى صراعهم الطويل الملىء بالمخاطر ، كما ستكون التعويضات
التي تطلبها روسيا من ألمانيا كبيرة الى الحد الذى يمكنها من فرض
الاحتلال عليها الى أمد غير محدود ، أو الى عدة سنوات على الأقل ،
كما ستصبح بولندا خاضعة للإشراف البوليسى السوفيتى .

وأرى أن الوقت قد حان لبحث هذه القضايا الهامة والخطيرة
بين الدول الكبرى مجتمعة ، وتوجد لدينا أوراق رابحة نستطيع
استخدامها فى المساومة ، لنصل الى اتفاقات سلمية ، كما أرى أنه
من الواجب أولا ألا يتراجع الحلفاء عن مراكزهم الحالية الى خطوط
الاحتلال المتفق عليها ، الى أن نعرف ما سيقع فى بولندا ، وكذلك الأوضاع
التي سيكون عليها الاحتلال الروسى لألمانيا والبلاد التى يشرف عليها
الروس فى حوض الدانوب ، وفى وسعنا أن نرضى الروس عن طريق
مداخل البحر الاسود وبحر البلطيق كجزء من تسوية عامة .

وإذا لم تسو جميع هذه القضايا قبل سحب الجيوش الأمريكية

من أوروبا ، وقبل أن يطوى العالم الغربى أجهزته الحربية ، فلن يكون هناك أمل فى الوصول الى حل مرض ، وتجنب حرب كونية ثالثة .

وعلىنا أن نركز جميع آمالنا الآن على مثل هذا الصراع لتسوية جميع هذه المشكلات مع روسيا فى أسرع وقت ممكن ، وليكن معلوما أننى أعارض كل المعارضة فى تخفيف مطالبنا من روسيا بسبب بولندا .

وفى اليوم التالى أرسلت برقية أخرى الى الرئيس قلت فيها :

« ليس فى وسع أى شىء أن ينقذنا من الكارثة ، الا اجتماع عاجل ، ونزاع وصراع فى أى مكان من ألمانيا يقع تحت الاحتلال الأمريكى أو البريطانى ، لكى يؤمن أماكن الراحة للجميع » .

«استسلام المانيا»

انتهت حملاتنا في البحر الابيض المتوسط ، بانتصار مشرف ، وقد تولى اليكساندر القيادة العليا في شهر ديسمبر خلفا لويكسون ، كما تولى مارك كلارك قيادة مجموعة الجيوش الخامسة عشرة ، وبالنسبة للجبهود المضنية التي بذلتها الجيوش في ايطاليا ، فقد أصبحت في حاجة الى التوقف لفترة تعيد فيها تنظيمها وتجديد روحها المعنوية وقوتها الهجومية .

وكانت المقاومة الألمانية الباسلة والطويلة ، والتي كانت غير متوقعة على جميع الجبهات ، قد جعلتنا نحن والأمريكيين مفتقرين الى العتاد المدفعي ، كما أرغمتنا تجاربنا القاسية ، في حروب الشتاء في ايطاليا على تأجيل الهجوم العام حتى الربيع ، الا أن قوات الحلفاء الجوية بقيادة الجنرال كانون ظلت تقصف خطوط تموين الجيوش الألمانية حتى تم اغلاق الطريق المهم الممتد من فيرونا الى ممر برنر حيث كان هتلر وموسوليني يعقدان اجتماعاتهما في أماكن عدة طوال شهر مارس ، وقد تسبب اغلاق هذا الطريق في تأخير نقل الفرقتين الألمانيةيتين اللتين تقرر ارسالهما الى روسيا أكثر من شهر .

وكان لدى العدو كميات كافية من العتاد والمؤن ، ولكنه كان في حاجة الى الوقود ، وكانت وحداته لا تزال كاملة وروحها المعنوية عالية على الرغم من هزائم هتلر في الراين وعلى نهر الأدور ، ويبدو أن القيادة العليا الألمانية ماكانت لتخشى الكثير لولا سيطرتنا الجوية ولولا أننا كنا نتمتع بزمام المبادرة ونستطيع أن نوجه الضربة حيث نشاء ، بينما كان الخط الدفاعي الذي اختاره الألمان سيئا ، اذ جعلوا نهر اليو الواسع وراء ظهورهم ، وكان من الأفضل للألمان لو تخلوا عن شمال ايطاليا كلها وانسحبوا الى الخطوط الدفاعية المنيعه في الجبال ، حيث كان في استطاعتهم أن يصمدوا أمامنا بقوات قليلة ، وأن يبعثوا بما يتوافر لديهم من قوات الى الجبهات الأخرى .

ولكن الهزيمة التي لحقت بالألمان في جنوبي نهر اليو كانت بمثابة كارثة . ولا ريب في أن كيسلرنج قد أدرك ذلك ، وهو ما حمله على المفاوضات التي سجلناها في الفصل السابق ، ولكن هتلر كان دائما العقبة الكأداء ، بدليل انه عندما اقترح فيتينجهوف الذي خلف كيسلرنج في الانسحاب التكتيكي ، جاءه الرد الصارم من هتلر وقد قال فيه : « ان الفوهرر يتوقع الآن كما توقع دائما ان تؤدي بثبات وصلابة مهمتك الراحنة في الدفاع عن كل شبر من أراضي شمال ايطاليا ، وهي الأراضي التي أوكل اليك أمر الدفاع عنها » .

« وقد شرع الجيش الثامن في هجومه مساء التاسع من ابريل بالغارات

الجوية ومدافع الميدان ، ولم يحل اليوم الرابع عشر من ابريل حتى كانت الانبياء الطيبة قد وصلت من جميع أنحاء الجبهة ، وقد تمكن الجيش الخامس بعد قتال عنيف استمر اسبوعا من الخلاص من المنطقة الجبلية وعبروا الطرق الرئيسية الممتدة الى الغرب من بولونا ، ثم اتجه شمالا . وفي اليوم العشرين من ابريل امر فيتينجهوف قواته بالانسحاب متحديا اوامر هتلر ، ولكن الفرصة كانت قد ضاعت ، حيث استمر الجيش الخامس في اندفاعه نحو نهر اليو ، ومهدت له الطائرات طريق تقدمه ، حيث قطع خط الرجعة على ألوف الالمانيين الذين وقعوا في الفخ وانقطعت بهم السبل فوقعوا أسرى ولم يتمكن هذه البقايا التي خلفت وراءها جميع معداتها الثقيلة قبل عبور النهر من إعادة تنظيمها ، فقد طاردها جيوش الحلفاء الى سفوح الاريج ، في حين كان رجال المقاومة الايطالية ينزلون المصاعب بالعدو في الجبال والمناطق الخلفية .

وفي الخامس والعشرين من ابريل ، صدرت الاوامر لقوات المقاومة باعلان الثورة العامة وفي الحال شرعت تشن هجمات واسعة النطاق وتمكنت من السيطرة على مدن مهمة . كميلانو والبندقية وغدت عملية الاستسلام في شمال غربي ايطاليا بالجملة ، كما سلمت حامية جنسوة المؤلفة من أربعة آلاف جندي نفسها الى ضابط ارتباط بريطاني والى قوات المقاومة .

وفي هذه الاثناء ، جاء وولف الى سويسرا ثانية بعد أن منحه فيتينجهوف السلطات الكاملة ، كما وصل رسولان آخران مفوضان الى مقر قيادة اليكساندر ، ووقعا في التاسع والعشرين من ابريل وثيقة الاستسلام غير المشروطة بحضور بعض الضباط البريطانيين والامريكيين والروسيين ، كما انه في الثاني من مايو استسلم نحو من مليون الماني كأسرى حرب وانتهت - باستسلامهم - الحرب في ايطاليا كلها .

وهكذا انتهت حملتنا التي استغرقت عشرين شهرا ، وكانت خسائرنا كبيرة الا أن خسائر العدو كانت أعظم .

وجاءت النهاية لموسوليني أيضا ، ويبدو أنه ظل كهتلر محتفظا بإعلامه وخيالاته ، حتى اللحظة الأخيرة ، فقام في نهاية مايو بآخر زيارة لشريكه الالماني ، ثم عاد لمقر قيادته على شاطئ بحيرة جاردا ، وقد انتعشت في خاطره أحلام الأسلحة السرية التي ستؤدي الى النصر ، ولكن سرعة زحف الحلفاء من جبال الابنين قد قضت على هذه الأحلام .

وقرر موسوليني في الخامس والعشرين من ابريل أن يحل ما تبقى من قواته المسلحة وأن يطلب الى كردينال ميلانو ورئيس أساقفتها أن يرتب اجتماعا له مع أعضاء اللجنة السرية العسكرية لحركة التحرر الوطني الايطالية ، ودارت المحادثات في قصر الكردينال في ظهر ذلك اليوم ولكن موسوليني خرج غاضبا منه ، وفي المساء سار موسوليني على رأس قافلة تضم معظم الباقين من زعماء الفاشية الى دار الشرطة في كومو ، بعد أن ارتدى معطفا وخوذة من التي يرتديها الجنود الالماني ، ولكن دوريات رجال

المقاومة أوقفت القافلة وتعرف أفرادها على موسولينى فوضعوا أيديهم عليه ونقلوه الى السجن ، كما اعتقل آخرون من بينهم عشيقته السسنيورة بيتاتشى ، وحمل الدوتشى وعشيقتة فى اليوم التالى بأمر من الشيوعيين فى السيارة الى خارج البلدة وقتلا ، ونقل جثماناهما الى ميلانو ، حيث علقا من الأقدام على خطافات اللحم فى محطة ينزين فى «بياز الى لورينو» ، وهكذا كانت خاتمة الديكتاتور الايطالى .

وقد واصلت الجيوش النازية زحفها فى المانيا بقسوة ، وأخذت بالمسافات بينها تضيق يوما بعد يوم ، وكان أيزنهاور فى أوائل شهر ابريل قد اجتاز نهر الراين وأخذ يندفع الى المانيا وأواسط أوروبا ضد عدو كان لا يزال يقاوم بضراوة فى بعض الجهات ، وإن كان عاجزا عن وقف زحفنا المظفر ، وكانت بولندا خارج نطاق امكانياتنا وكذلك كانت فيينا ، التى ضاعت فرصتنا فى الوصول اليها قبل الروس ، عن طريق زحف سريع من ايطاليا قبل ثمانية أشهر ، عندما ضوعفت قوات الجنرال اليكساندر ، لتمكين حركة الانزال فى فرنسا من النجاح ، وكان الروس قد زحفوا على المدينة من الشرق والجنوب وامتلكوها .

وقد بدا لي أنه ليس هناك ما يحول بين الحلفاء الغربيين وبين احتلال برلين ، وكان الروس على بعد خمسة وثلاثين ميلا منها ، وكان الألمان قد تحصنوا فى خنادقهم على نهر الادور ، وكان من المتوقع أن تدور معارك شديدة للغاية قبل أن يتمكن الروس من عبور النهر واستئناف الهجوم ، وكان الجيش الأمريكى التاسع من الناحية الأخرى قد عبر نهر الألب على مقربة من مجدبورج وغدا على بعد ستين ميلا من برلين وتوقف هناك . وبعد أربعة أيام شرع الروس فى هجومهم واتموا تطويق برلين فى الخامس والعشرين من ابريل ، مع أن ستالين كان قد أبلغ أيزنهاور أن ضربته الرئيسية الثانية ضد المانيا ، ستشن حوالى النصف الثانى من شهر مايو ، ولكنه تمكن من الزحف قبل شهر من الموعد الذى حددته ، ولعل فى تقدمنا السريع نحو نهر الألب ، التفسير الصحيح لزحف الروس بمثل هذه السرعة .

وفى الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩٤٥ ، التقت طلائع قوات الجيش الأول الأمريكى القادمة من ليبزيغ بالقوات الروسية على مقربة من تورجاو على نهر الألب ، وهكذا تم شطر المانيا الى شطرين ، وأينا الجيش الألمانى ينحل أمامنا ، وسقط فى الأسر أكثر من مليون ألمانى فى الأسابيع الثلاثة الأولى من شهر ابريل .

ولما كان الجنرال أيزنهاور يعتقد بأن النازيين المتعصبين سيحاولون الدفاح عن جبال بافاريا وغربى النمسا ، فقد اتجه بالجيش الأمريكى الثالث -جنوبيا ، ودخل جناح الجيش الأيسر الى تشيكوسلوفاكيا ، فوصل الى بوديجوفيك وبيلسين وكارلسباد وأصبحت براج فى متناول أيدينا . ولم يكن هناك ما يحول دون احتلالها من الناحية العسكرية ، وقد اقترحت على ترومان أن يقوم أيزنهاور باحتلال العاصمة التشيكية ، ولكن ترومان عارض الفكرة ، وبعد أسبوع أبرقت شخصيا الى أيزنهاور بذلك ، ولكنه

رد على بأنه اذا تطلب الوضع فقد يجتاز الحدود الى الخط العام الممتد من كارلسباد الى بيلسين فيوديجوفيك ، وقد وافق الروس على ذلك ، وبعد أن تحركت قوات أيزنهاور الى الخط الجديد ، عارض الروس بشدة في أن يستمر الجيش الأمريكى الثالث فى زحفه حتى نهر فولتافا ، الذى يمر عبر مدينة براج ، وهكذا توقف الجيش الأمريكى ، فى حين ظهر الجيش الأحمر على الضفتين الشرقية والغربية لنهر مولداو واحتل مدينة براج ، فى التاسع من شهر مايو ، أى بعد يومين من التوقيع على الاستسلام العام فى ريمز .

ولما كان موضوع احتلال الحلفاء الرئيسيين لألمانيا قد درس دراسة عميقة فى صيف عام ١٩٤٣ بالاتفاق مع رؤساء أركان الحرب ، فقد تقرر أن تحتل ألمانيا بأكملها اذا أريد نزع سلاحها بصورة فعالة ، أما اذا أريد التخلص منها بتقسيمها ثلاث مناطق احتلال رئيسية متساوية حجما ، فيجب أن يحتل البريطانيون الشمال الغربى ، والأمريكيون الجنوب والجنوب الغربى والروس المنطقة الشرقية ، كما يجب أن تكون مدينة برلين منطقة مشتركة منفصلة يحتلها الحلفاء الثلاثة ، وقد ووفق على هذه التوصيات وقدمت الى المجلس الاستشارى الأوروبى الذى كان يتألف من السفير السوفيتى المسيو جوسيفيف والسفير الأمريكى المستر وبنانت والسير ويليام سترانج من وزارة الخارجية البريطانية .

وبدأ الموضوع فى ذلك الوقت مجرد شئ نظرى ، فلم يكن فى استطاعة أى انسان أن يتكهن آنذاك كيف ومتى ستنتهى الحرب ، وكانت الجيوش الألمانية لا تزال تحتل مناطق واسعة من روسيا ، وكان لابد أن يمضى عام واحد على الأقل قبل أن تضع الجيوش البريطانية والأمريكية أقدامها فى أوروبا الغربية ، وعامان قبل أن تدخل هذه الجيوش ألمانيا ، وهكذا ظلت هذه الاقتراحات كغيرها موضوعة على الرف ، وكانت الفكرة السائدة فى تلك الأيام ان روسيا لن تستمر فى الحرب بعد أن تستعيد حدودها السابقة ، وكان على الحلفاء الغربيين أن يبذلوا جهودا ضخمة لاقتناع الروس بعدم التراخى فى مجهودهم ، ولهذا فإن موضوع الاحتلال الروسى لألمانيا لم يتبلور فى أفكارنا ولا فى المحادثات البريطانية الأمريكية ، كما لم يثر فى اجتماع الكبار الثلاثة فى طهران .

وعندما اجتمعنا فى القاهرة فى طريق عودتنا الى الوطن فى أكتوبر عام ١٩٤٣ ، أثار رؤساء أركان الحرب الأمريكيون الموضوع ، ولكن لم تكن اثارهم اياه بناء على طلب من روسيا ، وقد ظلت مسألة الاحتلال الروسى لألمانيا ، لا تعدو أن تكون أمنية أو خيالا ، كما انه قد قيل لى ان الرئيس روزفلت رغب فى أن يغير وضع احتلال المنطقتين البريطانية والأمريكية فى ألمانيا ، لكى تكون طرق مواصلات القوة الأمريكية فى ألمانيا مستندة الى البحر مباشرة ولا تمر عبر فرنسا ، ولم نتوصل الى قرار ، وكان من رأى أركان حرب القيادة البريطانية أن الخطة الأصلية هى الأفضل ، كما كان يشاطروهم زملاؤهم الأمريكيون فى هذا رأى ، وقد توصلنا فى مؤتمر كوبيك فى سبتمبر عام ١٩٤٤ الى اتفاق ثابت بيننا .

وعندما اقترح الرئيس بهذا الرأي العسكري ، اشترط أن تتمكن الجيوش الأمريكية من الحصول على منفذ قريب الى البحر ضمن منطقة الاحتلال البريطاني ، واتفقنا على أن بريمن وضاحيتها بريمن هافن ، تفيان بهذا الغرض وبمتطلبات أمريكا ، وتقرر أن يعهد الى القوات الأمريكية بالاشراف عليها .

وقد قبلت الخطة التي وضعناها في كوبيك في مؤتمر ريتة الذي عقدناه في شهر فبراير عام ١٩٤٥ ، دون اية دراسة ، وتركنا البحث الشامل فيها الى معاهدة الصلح ، كما اقترحنا أيضا أن نتفق على مناطق الاحتلال في النمسا ، ووافق ستالين بعد جهود كبيرة بذلتها لاقناعه ، على أن تعطى للفرنسيين منطقة احتلال ضمن المنطقتين البريطانية والأمريكية وأن تعطى لها مقعدا في مجلس الاشراف الحليف ، وكان مفهوما للجميع أن هذا الاتفاق على مناطق الاحتلال ، يجب ألا يعرقل سير الحركات العملية للجيوش الحلفاء ، وأن يكون في وسع أي جيش أن يحتل برلين أو براغ أو فيينا اذا وصل اليها قبل غيره ، وعندما اترقنا في شبه جزيرة القرم ، ثم نفترق كحلفاء فحسب بل كأصدقاء ، نواجه عدوا ما زال قويا .

وشهد الشهران اللذان تليا ذلك الاجتماع تبديلا هائلا نفذ الى أعماق تفكيرنا ، حيث كان قد تقرر مصير ألمانيا الهتلرية ، حيث كان الروس يحاربون داخل برلين نفسها كما أضحت فينا ومعظم أجزاء النمسا في أيديهم ، وأصبحت العلاقات بين روسيا وبين الحلفاء الغربيين في حالة سيئة من التوتر ، وظلت كل قضية تتعلق بالمستقبل قائمة لا حل لها بيننا ، وقد طرح الكرملين المنتصر الظافر جانبا ، كل ما اتفقنا عليه أو تفاهمنا بشأنه في يالته ، وبرزت مخاطر جديدة لا تقل فظاعة عن تلك التي تغلبنا عليها ، على العالم المحرق المتعب .

وقد زاد قلبي لهذه التطورات المنذرة بالشر ، حتى قبل وفاة الرئيس روزفلت ، وكان هو بدوره أيضا قد أحس بالقلق والاضطراب ، وقد سجلت في هذا الكتاب ما أحس به من غضب بسبب اتهامات مولوتوف بشأن اتصالات برن . وعلى الرغم من زحف جيوش أيزنهاور الظافرة ، فقد وجد الرئيس ترومان نفسه في النصف الأخير من شهر أبريل ، يواجه أزمة ضخمة ، وكنت أحاول منذ مدة أن أبصر الحكومة الأمريكية بالتبدلات الهائلة التي أخذت تطرا على المسرحين السياسى والعسكرى .

وتشير البريقيات التي نشرتها في مكان آخر ، الى أننى لم اقترح قط النكوص عن تعهداتنا بشأن مناطق الاحتلال المتفق عليها ، على شرط أن يحترم الآخرون الاتفاقات التي التزموا بها ، وأصبحت مقتنعا اننا قبل أن نتوقف في زحفنا يجب أن نجتمع بستانين وجها الى وجه ، وأن نتوصل معه الى اتفاق يتناول الجبهة كلها ، وكنت أرى من الكوارث الحتمية ، أن نحافظ نحن باخلاص وصدق على جميع التزاماتنا في حين يضع السوفييت أيديهم على كل ما يستطيعون الامساك به ، دون أي احترام للالتزامات التي ارتبطوا بها .

وكان الجنرال أيزنهاور قد اقترح ، انه فى الوقت الذى تعطى فيه الحرية للجيش من الشرق والغرب ، بالزحف والتقدم دون اعتبار مناطق الاحتلال وان فى وسع هذه الجيوش بعد أن يتم اتصالها فى أية منطقة ، أن تـسـحب الى ما وراء حدود مناطق الاحتلال المقررة ، كما تعطى الصلاحيات لتوجيه طلبات الانسحاب ولاصدار الأوامر المتعلقة بها ، الى قواد مجموعات الجيوش ، وبذلك تتم عمليات الانسحاب وفقا لمقتضيات العمليات الحربية ، وقد رأيت أن هذا الاقتراح سابق لأوانه ، وانه يتجاوز الاحتياجات العسكرية الفورية .

وعلى ضوء هذا رأى وجهت رسالة فى الثانى عشر من ابريل الى الرئيس الجديد المستر ترومان ، ولما كان الرئيس حديث عهد بكل هذه المشكلات التى تواجهنا ، فقد كان من الطبيعى بالنسبة له ، أن يلجأ الى مستشاريه ، ولهذا فقد أحرزت الفكرة العسكرية المجردة ، تأكيداً وتأيداً أكثر مما تستحقه ، وقد أبرقت اليه أقول :

« اننى على أتم استعداد للتقيد بمناطق الاحتلال ، ولكننى لا أحب أن أرى قوات الحلفاء والقوات الأمريكية ، ترغم على الرجوع فى أية نقطة ، تلبية لطلبات سخيفة من قائد روسى محلى ، وأرى أن يتفق على هذا بين الحكومات ، بحيث تتوافر لايزنهاور الفرصة ليقرر فوراً وفى المنطقة نفسها ، الاجراء الذى يجب أن يتخذ وفقاً لطريقته .

« ولما كان قد اتفق على مناطق الاحتلال بصورة عاجلة فى كوبيك فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٤ ، عندما لم تكن نتوقع أن تتمكن جيوش الجنرال أيزنهاور من احراز هذا التوغل العميق داخل المانيا ، وليس فى الامكان تبديل هذه المناطق الا عن طريق الاتفاق مع الروس ، الا أنه فى الوقت الذى يتم فيه النصر النهائى فى أوروبا ، يجب علينا أن نحاول فوراً وفى اليوم نفسه إقامة مجلس الاشراف الحليف فى برلين ، وأن نصر على توزيع عادل للمواد الغذائية التى تنتجها المانيا على جميع أجزاء البلاد ، وقد كانت منطقة الاحتلال الروسى فى الوقت الحاضر ، تنتج أكبر نسبة من المواد الغذائية فى حين أن عدد سكانها كان ضئيلاً ، بالنسبة لغيرها من المناطق ، كما لا يملك الأمريكيون نسبة كافية من المواد الغذائية فى مناطقهم تكفى لأهلها ، أما نحن البريطانيون المساكين ، فسنأخذ ما تبقى من حطام حوض الروهر والمناطق الصناعية الأخرى التى تعتمد مثلنا فى الأوقات العادية على ما تستورده من كميات ضخمة من المواد الغذائية ، »

ولما كان المستر ايدن فى واشنطن ، فقد وافق تماماً على آرائى التى بعثت بها برقياً اليه ، ولكن رد المستر ترومان ، لم يتقدم بنا خطوة واحدة الى الأمام ، فقد اقترح أن تنسحب قوات الحلفاء ، من المناطق المتفق على احتلالها فى المانيا والنمسا ، عندما تسمح الأوضاع العسكرية بهذا الانسحاب .

وكان هتلر يفكر فى أثناء ذلك فى المكان الذى يجب أن يقف فيه وقفته الأخيرة ، وكان حتى العشرين من ابريل لا يزال يفكر فى مفارقة

برلين « واللجوء » الى حصته في الجنوب في جبال الالب البافارية ، وقد عقد في ذلك اليوم اجتماع لهذه كبار القادة النازيين .

ولما كانت الجبهة الألمانية المزدوجة في الشرق والغرب ، قد أصبحت معرضة للانقطاع والانشطار شطرين بسبب اندفاع الحلفاء من الناحيتين فقد وافق على اقامة قيادتين منفصلتين ، وعهد الى الاميرال دونتسبان يتولى المسئولية العسكرية والمدنية في الشمال ، وأن يكون مكلفا باعادة مليوني لاجيء ألماني من الشرق الى الاراضي الألمانية ، أما في الجنوب فقد نقرر أن يتولى الماريشال كيسلرنج قيادة ما تبقى من الجيوش الألمانية ؛ كما نقرر أن يشرع في تنفيذ هذه المخططات عقب سقوط برلين .

وفي الثاني والعشرين من ابريل ، اتخذ هتلر قراره الأخير والخطير بالبقاء في برلين حتى النهاية ، وفي الحال أتم الروس تطويق العاصمة بعد أن فقد الفوهرر كل قدرة على السيطرة على الأحداث ، وقد أعلن لمن تبقى من الزعماء النازيين معه بأنه سيموت في برلين ، وكان جورنيج وهملر قد غادرا برلين بعد مؤتمر العشرين من ابريل ، وقد طافتا برأسيهما أفكار التفاوض لعقد الصلح واتجه جورنيج الى الجنوب وافترض ان هتلر قد تنازل عن سلطاته ببقائه في برلين وقد طلب منه تأكيداً رسمياً بأن يكون خليفته ، وكان رد هتلر ، أن طرده من جميع مناصبه ، وبعدها وقع أسيراً هو ومائة من كبار قادة السلاح الجوي الألماني في أيدي القوات الأمريكية .

ولم يبق مع هتلر من كبار شخصيات العهد الا جوبلز وبورمان حتى النهاية ، وكانت القوات الروسية ، قد بدأت تقاتل في شوارع برلين ، وفي الساعات الأولى من صباح التاسع والعشرين من ابريل كتب وصيته الأخيرة ، واستمر يؤدي أعماله العيادية في الملجأ الموجود تحت دار المستشارية الى أن وصلتته الأنباء عن نهاية موسوليني ، وبعد أن تناول غدائه في اليوم الثلاثين صافح أفراد حاشيته ، ثم انسحب الى غرفته الخاصة . وانتحر بمسدسه ، وكانت بجواره ايلغابراون - التي كان قد تزوجها سرا - بعد أن تناولت السم وتم احراق الجثتين في باحة المستشارية ، وكانت نهاية مؤلمة للرايخ الألماني .

هذا ، وقد عقد من تبقى من القادة النازيين مؤتمرا أخيرا ، وحاولوا التفاوض مع الروس ، الا أن جوكوف طلب الاستسلام بلا قيد ولا شرط وفي الحال اختفى بورمان دون أن يترك أثرا ، وقتل جوبلز اولاده الستة بالسم ، ثم أمر رجال حرسه باطلاق النار عليه وعلى زوجته ، ووقع من تبقى من رجال مركز قيادة هتلر اسرى في أيدي الروس .

وصلت الى الاميرال دوننيس تلك الليلة البرقية التالية :-

« لقد عينك الفوهرر ، أيها الاميرال الأكبر ، خلفا له ، بدلا من ماريشال الرايخ السابق جورنيج ، وسيصلك الخطاب الرسمي ، اذ هو في الطريق اليك ، وعليك أن تتخذ فورا جميع الاجراءات التي يتطلبها الموقف ، بورمان . » .

وكان دونتيس على اتصال بهمار ، وقد سيطرت الفوضى ، فأخذ يعد
العدة لتنظيم أمر الاستسلام .

أما هملر ، فكان قد ذهب الى الجبهة الشرقية وأخذ يجرى اتصالات
شخصية موعزا بها مع الحلفاء الغربيين ، مؤملا الوصول الى صلح منفرد
منذ عدة أشهر ، وقد جدد الآن المحاولة عن طريق الكونت برنادوت رئيس
الصليب الأحمر السويدي ولكن عروضه رفضت كلها فاختفى ولم يسمع
عنه شيء ، الى أن قبض عليه متنكرا وعند ذلك تناول قارورة من سم
السيانيد لمات لتوه .

أما نهاية المسرحية في الشمال الغربي فكانت أقل إثارة ، فقد
وصلت أنباء الاستسلام في إيطاليا في الثاني من مايو ، وكانت قواتنا قد
وصلت الى لوبيك الواقعة على البلطيق ، واصلت بالروس ، فقطعت خط
الرجعة على القوات الألمانية الموجودة في الدانيمارك والنرويج ، ووصلنا
في الثالث من مايو مدينة همبورج دون مقاومة ، واستسلمت الحامية دون
قيد أو شرط ، وبعد ذلك وصل وفد ألماني الى مقر قيادة مونجمرى في
لونبرج هيث ، برئاسة الاميرال فريدبرج الذي حاول الوصول الى اتفاق
باستسلام يشمل القوات الألمانية في الشمال التي تواجه الروس أيضا ،
وقد وقع وثيقة الاستسلام لجميع القوات الألمانية في شمال غربي ألمانيا
وهولندا والجزر وشلزويج هولشتين والدانمارك .

وتوجه فريدبرج الى مقر قيادة أيزنهاور في ريمز حيث انضم اليه
الجنرال بودول في السادس من مايو ، الذي أصر على استسلام كامل ، وقد
وقع فريدبرج وثيقة الاستسلام الكلي في صباح السابع من مايو ، كما وقع
عليها اللفتنانت جنرال بيدل سميث والجنرال بودل وشهد عليها قائدان
«فرنسي وروسي» ، وبذلك أوقفت جميع الاعمال الحربية في منتصف ليل
الثامن من مايو ، وتم التصديق الرسمي من قبل القيادة العليا الألمانية في
برلين طبقا للترتيبات التي وضعها الروس في التاسع من مايو ، ووقع
الوثيقة قائد عام القوات الجوية بندر بالنيابة عن أيزنهاور والمارشال
جوكوف بالنيابة عن الروس والمارشال كاتيل بالنيابة عن ألمانيا .

وعندما أصدر دونتيس أوامره بالاستسلام كانت هناك تسع
وأربعون غواصة في عرض البحر ، وقد استسلم نحو من مائة غواصة في
المواني ، في حين قام البحارة الألمان بتخريب نحو من مائتين وعشرين
غواصة قبل الاستسلام . ولا ريب أن هذه الأرقام تقوم دليلا على اصرار
ألمانيا في جهودها وعلى مدى احتمال سلاح الغواصات الألماني ، كما خسر
الألمان في ثمانية وستين شهرا من القتال سبعمائة وواحدة وثمانين غواصة

وقد غرق في الحرب العالمية الاولى عن طريق الغواصات وحدها ما
حمولته أحد عشر مليونا من الاطنان من البواخر ، في حين أغرقت
الغواصات في الحرب الكونية الثانية بواخر حمولتها أربعة عشر مليونا
ونصف المليون من الاطنان . وإذا أضفنا الخسائر الناتجة عن أسباب
أخرى تبين لنا أن مجموع الخسائر في البواخر بلغت في الحرب الاولى اثني
عشر مليونا وسبعمائة وخمسين ألفا من الاطنان ، في حين بلغت في الحرب

الثانية واحدا وعشرين مليونا ونصف المليون من الاطنان ، وقد تحمل البريطانيون ستين في المائة من هذه الخسائر في الحرب الاولى واكثر من خمسين في المائة في الحرب الثانية .

وبعد استسلام العدو بلا قيد أو شرط ، احس الظافرون والحاسرون على حد سواء ، براحة لا توصف ، أما بالنسبة اليينا في بريطانيا والامبراطورية البريطانية ، اذ كنا الوحيديين الذين خضنا الحرب من أول يوم فيها حتى آخر يوم ، فلقد كان هناك معنى لانتهاا الحرب ، يفوق المعنى الذى يحمله بالنسبة لأقوى حلفائنا واكثرهم بسالة .

وعندما طلب الى ، أن أتحدث الى الأمة وجهت اليها الكلمة التالية :

« كم كان بوى أن ابلغكم الليلة ، أن جميع متاعبنا ومشكلاتنا قد انتهت ولو كانا في استطاعتى ابلاغكم ذلك لكان فى امكانى أن أنهى خدمتى التى استمرت خمس سنوات ، ولكن أرى لزاما على ، أن أحذركم كما حذرتكم من قبل عندما تسلمت هذه الاعباء ، بأنه ما زال أمامنا الكثير لنفعله ، وان عليكم أن تستعدوا لجهود أخرى بدنية وعقلية ولاحتمال تضحيات ثابتة فى سبيل القضايا العظيمة ، فعليكم ألا تضعفوا ولا تهنوا بأى شكل من الأشكال ، فى يقظتكم وحذركم وانتباهكم ، ومع أن افراح الاعياد ضرورية للروح الانسانية ، إلا أنه يجب أن تضاف عليها القوة والمرونة ، لكى يعود كل رجل وامرأة الى العمل الذى يجب أن يعمل .

فما زال علينا فى القارة الأوروبية أن نتأكد من أن الاهداف النبيلة والبسيطة التى خضنا غمار الحرب من أجلها لن يكون مصيرها التجاهل فى الأشهر التى تلى النصر ، وان كلمات الحرية والديموقراطية والتحرير لن تفقد معانيها الحقيقية كما فهمناها ، ولن يكون كبير جدوى من عقاب الهتلريين على جرائمهم اذا لم يقم حكم القانون والعدالة فى أوروبا ، واذا قدر للحكومات الجماعية أو البوليسية أن تحل محل الغزاة الالمان .

اننا لا نطلب غنما لانفسنا ، ولكننا نرى لزاما علينا أن نتأكد من أن المثل التى حاربنا من أجلها ، ستلقى ما يجب أن تلقاه من اعتراف على مائدة الصلح ، عملا لا قولا ، وعلينا أن نبذل كل جهد لنرى المنظمة العالمية التى تقوم الأمم المتحدة الآن بخلقها فى سان فرانسيسكو لن تصبح مجرد اسم لا عمل له ، ولن تغدو درعا للأقوياء ، وأضحوة للضعفاء ، وعلى المنتصرين أن يرجعوا الى قلوبهم ، وأن يكونوا جديرين عن طريق شرفهم بتلك القوى الهائلة التى يحملونها فى أيديهم .

« وعلينا ألا ننسى أبدا أن هناك اليابان على الرغم من قوتها المنهارة ، وضعفها ، تمثل مائة مليون من الناس ، لا يرى المحاربون منهم فى الموت ما يفزع أو يخيف ، وليس فى وسعى فى هذه الليلة أن أحدد لكم الوقت أو الجهود التى سنحتاج اليها لارغام اليابانيين على اصلاح ما ارتكبوه بغدرهم وفظاعتهم ، فنحن ، مثل الصين التى احتملت ما احتملته من أضرار فظيعة دون أن يطرا عليها وهن أو ضعف ، ونحن ملتزمون بأحكام الشرف وروابط الولاء الأخرى للولايات المتحدة أن نمضى فى هذه الحرب العظيمة ،

فى ذلك الطرف النائى من العالم الى جانبها دون ضعف او تردد ، وعلينا
أن نتذكر أن استراليا ونيوزيلندا وكندا كلها مهددة تهديدا مباشرا من
هذه القوة الشريرة ، وهذه الدول من ممتلكاتنا المستقلة تهب لنجدتنا فى
أحلك ظروفنا ، وعلينا ألا نترك أية مهمة تتعلق بسلامتها ومستقبلها غير
ناجزة ، وسأكون غير جدير بثقتكم وبكريم عواطفكم اذا لم أواصل النداء
لكم قائلا : الى الأمام ، دون تردد ودون خوف ، ودون لين ودون هوادة ،
الى أن تكملوا واجبكم كله ، والى أن يصبح العالم كله آمنا مطمئنا وخاليا
من كل شائبة .

«سيرة الانقسام»

كان القلق من المستقبل ، وغيره من مشاعر الخوف تملأ جوانحي ، وأنا انتقل بين الجماهير المحتفلة بالنصر الذي استحقوه عن جدارة ، بعد تلك المصائب التي اجتازوها ومروا بها وبدأ لمعظمهم أن خطر هتلر قد اختفى بعد أن استسلم العدو الهائل ، الذي قاتلوه أكثر من خمس سنوات دون قيد أو شرط ، وكل ما بقى هناك أمام الدول الظافرة الثلاث ، هو أن تضع سلاما عادلا ودائما تحرسه منظمة عالمية ، لكي يدخل العالم في عصر ذهبي من الرخاء والازدهار .

ولكن كان هناك جانب آخر من الصورة ، فاليابان لم تستسلم بعد ، والقنبلة الذرية لم تخلق بعد ، وكان العالم يعيش في اضطراب وارتباك ، فقد اختفت تلك الوشيحة العظيمة من الخطر المشترك ، التي كانت تربط بين الحلفاء ، بين عشية وضحاها .

أما أنا فقد رأيت أن الخطر الشيوعي قد حل محل الخطر النازي ، مع فارق واحد ، هو عدم وجود روح من التحالف والزمالة ضده ، كما اختفت أيضا في الوطن أسس الوحدة القومية التي قامت عليها الحكومة القومية ، في أثناء الحرب قوية ثابتة ، ولم يكن في وسعي أن أخلص عقلي من الخوف ، لأن جيوش الديمقراطية الظافرة ستتفرق عما قريب ، مع أن أقسى التجارب والاختبارات وأكثرها حقيقة ووقعا ما زالت أمامنا .

وكان همي الأول منصرفا الى عقد اجتماع آخر للثلاثة الكبار ، وكنت آمل في أن يأتي الرئيس ترومان الى هذا الاجتماع عن طريق لندن لنلتقي ، أولا ، وكانت هناك كما سييري القاري ، آراء مخالفة تماما ، تضغط بها جهات ذات نفوذ في واشنطن على الرئيس الجديد ، وكان يقال ان على الولايات المتحدة ، أن تكون حريصة كل الحرص ، فلا تسمح لأحد بأن يجرها الى خلاف أو عدا مع روسيا السوفيتية ، لأن مثل هذا العدا سيحفز المطامع البريطانية على الظهور ، ويخلق هوة جديدة في أوروبا ، وعلى السياسة الأمريكية من الناحية الأخرى ، أن تقف وسطا بين بريطانيا وروسيا ، كوسيط صديق أو كحكم ، وأن تحاول التقليل من خلافاتهما حول بولندا والنمسا ، وأن تساعد على تهيئة الاوضاع والوصول بها الى سلم هادي سعيد ، لتمكين القوات الأمريكية من التركيز ضد اليابان ، ويبدو أن ضغط هذه الآراء على ترومان كان قويا للغاية ، ولم يكن في وسعي بطبيعة الحال ، أن أقدر القوى التي تعمل في الجهاز الحساس لأقرب حلفائنا الينا ، وان كنت قد شعرت بها ، وكان في وسعي فقط أن أحس بالمظاهر الهائلة للاستعمارية الروسية السوفيتية وهي تقتحم طريقها في أراض لا حول لها ولا قوة .

وقد أبرقت للرئيس بعد ثلاثة أيام من استسلام ألمانيا اقترح عليه دعوة ستالين الى مؤتمر ، واضفت اقول : « وأمل حتى يعقد هذا المؤتمر أملا كبيرا ، ألا تنسحب الجبهة الأمريكية عن الخطوط التكتيكية المتفق عليها الآن ، » وقد رد الرئيس فورا ، بأنه يؤثر أن يصدر اقتراح الاجتماع عن ستالين ، وأنه يأمل في أن يتمكن سفيرانا في موسكو من اقناعه بذلك كما أعلن المستر ترومان بعد ذلك أن علينا أن نذهب أنا وهو الى المؤتمر منفردين ، تجنبنا لاثارة الشكوك في نفس ستالين عن تكتلنا ضده وأعرب عن أمله في أن يزور انجلترا بعد انتهاء المؤتمر اذا سمحت له ظروفه وواجباته في أمريكا بمثل هذه الزيارة ، وقد أدركت فورا ما تنطوي عليه هذه البرقية من اختلاف في وجهات النظر .

وقد بعثت الى الرئيس ترومان بالبرقية التالية وارى ان يحكم القارئ على وعلى آرائى ، على ضوء ما ورد فيها :

« اننى اشعر بقلق عميق ، من جراء الوضع في أوروبا ، وقد علمت ان نصف القوة الجوية الأمريكية في أوروبا قد انسحب الى مسرح العمليات بالمحيط الهادى ، والصحف ملأى بأخبار تحركات الجيوش الأمريكية العظيمة خارجة من أوروبا ، ومن المحتمل أن تمر جيوشنا وفقا لترتيبات سابقة ، في مرحلة مماثلة من التخفيض الواضح ، وسينسحب الجيش الكندى ، أما الجيش الفرنسى فضعيف ، ومن الصعب التعامل معه ، وفي وسع كل انسان ، أن يرى أنه بعد وقت قصير جدا ، ستختفى قواتنا المسلحة من القارة الأوروبية ، باستثناء قوات صغيرة سيحتفظ بها للسيطرة على ألمانيا ..

ولقد سعت دائما لتوثيق أواصر الصداقة مع روسيا ، ولكننى اشعر ، كما تشعر أنت ، بالقلق العميق من سوء تصويرهم لقرارات يالته ومن موقفهم تجاه بولندا . ومن نفوذهم الطاغى في البلقان كله باستثناء اليونان ، ومن المشكلات التى يخلقونها فى فينا ، ومن الدمج بين السيطرة الروسية ، وبين البلاد التى تقع تحت احتلالهم أو اشرافهم ، ومن الأساليب الشيوعية التى تتبع فى بلاد عدة ، وفوق ذلك كله قدرتهم على الاحتفاظ بجيوش ضخمة على هذا النحو فى الميدان الى مثل هذا الأمد الطويل ويجوز لى أن اتساءل : ماذا سيؤول اليه الوضع بعد سنة أو سنتين عندما تذوب الجيوش البريطانية والأمريكية من القسارة ولا تكون الجيوش الفرنسية قد نظمت أمرها بعد على نطاق واسع ، فلا تبقى لنا سوى بعض فرق معظمها فرنسى ، تواجه مائتين ، أو ثلاثمائة فرقة أثرت روسيا الإبقاء عليها فى الخدمة الفعلية ؟ ..

ان ستارا حديديا يسدل الآن على الجبهة الروسية ، فنحن نجهل ما يدور وراء هذا الستار ، ولا يبدو أن هناك مجالاً للشك فى أن جميع المناطق الواسعة الى الشرق من خط لوبيك - تريستا - كورفر ، ستصبح بعد قليل فى أيدي الروس ، ومن الواجب أن نضيف الى هذه المنطقة المساحات الشاسعة التى احتلتها الجيوش الأمريكية بين ايزناخ ونهر الألب ، والتى ستنسحب منها بعد أسابيع ، لتأتى الجيوش الروسية

فتحتلها بعد انسحاب الأمريكيين ، ولذلك فانه يجب على الجنرال أيزنهاور أن يتخذ أقصى ما يمكنه من الترتيبات للحيلولة دون فرار جماعى من جانب السكان الالمان فى اتجاه الغرب عندما يشرع «الموسكويون» فى هذا الزحف الضخم الجديد الى أواسط أوروبا ، وهكذا فان الستار الحديدي سيعود ليسدل من جديد على مئات الأميال من الأراضي وهكذا سيقوم حزام عريض يفصل بيننا وبين بولندا ..

وفى هذه الأثناء سينحصر تفكير شعبينا فى توقيع العقوبات على المانيا ، التى تحطمت وتلحرت ، وسيكون فى وسع الروس بعد وقت قصير أن يتقدموا اذا شاءوا الى مياه بحر الشمال والمحيط الاطلنطى .

وأرى لزاما علينا ، أن نصل افورا الى تفاهم مع روسيا ، أو نجد لنا معها حلا ، وذلك قبل أن تضعف جيوشنا ، أو تنسحب الى مناطق الاحتلال المتفق عليها سابقا ، ولا يمكن أن يتم هذا الا عن طريق اجتماع شخصى ، وأكون جد ممتن لو بعثت الى برأيك ومشورتك ..

وبالطبع يمكننا أن نفترض أن روسيا ستسلك سلوكا منزها عن الخطأ ، ومثل هذا السلوك سيضمن حتما أحسن الحلول المناسبة ، وأود أن أختصر رسالتى فأقول : أنا قضية تسوية الامور مع روسيا ، قبل أن نخفض قواتنا ، هى من الاهمية بحيث تتضاءل أمامها جميع القضايا ،

وفى الثانى والعشرين من مايو ابرق الى الرئيس يقول : انه قد أوفد المستر جوزيف ديفيز ، ليقابلنى قبل انعقاد المؤتمر الثلاثى ، وليبحث معى بعض القضايا التى يؤثر عدم معالجتها عن طريق البرقيات .

وقد كان المستر ديفيز سفيرا لأمريكا فى موسكو قبل الحرب ، وكان من المعروف عنه انه من المؤيدين للنظام القائم ، وأعددت الترتيبات لاستقبله فورا ، وقد قضى معى ليلة السادس والعشرين فى تشيكرز ، ودار بيننا حديث طويل ، وكان أهم ما قاله ان على الرئيس أن يجتمع بستانين أولا فى مكان ما فى أوروبا ، قبل أن يجتمع الى ، وقد أدهشنى هذا الاقتراح كل الدهشة حقا ، كما لم يكن تعبير «التكتل» الذى استخدمه الرئيس فى رسائله السابقة قد أعجبنى ، عندما كان يصف أى اجتماع أحب أن يعقده معى .

ولقد كانت بريطانيا والولايات المتحدة ترتبطان بوشائج من المبادئ والاتفاق على السياسات فى نواح واتجاهات عدة ، وكنا معا على خلاف عميق مع السوفييت فى العديد من القضايا المهمة ، ولذا فان عقد أى اجتماع بين الرئيس الأمريكى ورئيس الوزارة البريطانية للبحث والنقاش على ضوء هذه الأسس المشتركة ، كما كان يجرى دائما فى أيام الرئيس روزفلت ، لم يكن ليستحق تسمية شبيهة بهذه التسمية التى تطلق على «التكتل» لمقاصد الشر وتآليف العصابات ، ومن الناحية الثانية ، فان تجاوز الرئيس الأمريكى لبريطانيا العظمى ، واجتماعه برئيس الدولة السوفييتية التى كنا نحن والأمريكيون متحدين تجاهها - ولم يكن فى وسعى ، تحت أى ظروف ، أن أوافق عليه - يمكن اعتباره اساءة ، مهما

كانت غير مقصودة ، وعارضت في مجرد الفكرة القائلة بأن الخلافات القائمة هي بين بريطانيا وروسيا ، وأكدت أن الولايات المتحدة يجب أن تكون معنية بهذه القضايا عنايتنا بها ، وقد أوضحت هذه النقطة بجلاء للمسترد ديفيز في حديثي معه ، وتجنبنا لى سوء فهم أو تفسير في هذا الموضوع ، أعددت له وثيقة رسمية تضمنت وقائع الحديث الذى دار بيننا ، وقد قرأ الرئيس هذه الوثيقة بروح من الود والتفاهم .

وكان الرئيس فى الوقت الذى بعث الى فيه بالمسترد ديفيز ، قد بعث الى موسكو المستر هارى هوبكنز كموفد خاص ، ليقوم بمحاولة أخرى للوصول الى حل عملى لمشكلة بولندا ، وقد استقبل بحفاوة وترحيب بالذين ، وتم لأول مرة بالفعل تحقيق بعض التقدم فى طريق حل المشكلة حيث وافق ستالين على دعوة ميكولاجيك واثنين من زملائه فى لندن الى موسكو للتشاور معهما ، متمشياً فى ذلك مع اتفاقنا فى يالته ، كما وافق أيضا على دعوة عدد من البولنديين المهمين ، من غير رجال حكومة لوبين من داخل بولندا نفسها .

وقد بعث الرئيس ببرقية قال فيها ، انه يشعر بأن هذه الخطوة تعد مرحلة ايجابية مشجعة فى المفاوضات ، كما تبين ان معظم التهم الموجهة الى الزعماء البولنديين المعتقلين هي حيازة أجهزة ارسال لاسلكية غير مشروعة وتشغيلها ، وأخذ هوبكنز يواصل الضغط على ستالين لمنحهم العفو ، حتى تدور المفاوضات فى جو ودى ملائم ، وقد طلب الى أن أحت ميكولاجيك على قبول دعوة ستالين ، فأقنعت ميكولاجيك بالذهاب الى موسكو ، وتم فى النهاية تشكيل حكومة بولندية مؤقتة ، وتم الاعتراف بها من قبل بريطانيا والولايات المتحدة فى الخامس من شهر يونيو .

ولما كنا لا نزال اليوم أبعد من أى يوم مضى ، عن القيام بأية محاولة حقيقية ونزيهة للحصول على ارادة الشعب البولندى عن طريق انتخابات حرة ، وكانت لا تزال هناك بقية من أمل ، فى أن يؤدى اجتماع الكبار الثلاثة المنتظر الآن فى كل لحظة الى الوصول الى تسوية كريمة .

ولما أبلغنى الرئيس ترومان فى الأول من شهر يونيو بأن المارشال ستالين موافق على عقد اجتماع لمن يسميهم « الثلاثة » على أن يتم فى برلين حوالى الخامس عشر من يوليو ، فقد أجبته فوراً باستعدادى للذهاب على رأس وفد بريطانى الى برلين ، ولكننى أكدت له ان الموعد الذى يقترحه ، متأخر جداً بالنسبة للقضايا التى تتطلب سرعة البت ، وقلت : اننا سنسعى الى الآمال التى يعلقها العالم علينا ، والى الوحدة العالمية ، كما أبرقت أيضا الى الرئيس أقول :-

انه على الرغم من اننى أخوض معركة انتخابات حامية الوطيس ، الا اننى لا أرى ان واجباتى فى المعركة يمكن أن تقارن بالمهام المترتبة على اجتماع نعقده ثلاثتنا ، واذا لم يكن الخامس عشر من يونيو مناسباً ، فلماذا لا نجتمع فى اليوم الأول أو الثانى أو الثالث من يوليو ، وقد رد على المستر ترومان يقول : انه بعد دراسة الأوضاع كلها تبين له أن

الخامس عشر من يوليو ، هو أقرب موعد يستطيع أن يحضر فيه الى الاجتماع ، كما ان ستالين لم يكن راغبا في عقد الاجتماع في موعد قريب .

وكان السبب الرئيسى الذى حدانى للاسراع فى الاجتماع ، هو ان يقع قبل انسحاب الجيش الأمريكى من الخط الذى وصل اليه فى القتال الى المنطقة التى خصصت للاحتلال الأمريكى بموجب الاتفاق السابق ، وكنت أخشى أن تتخذ واشنطن قرارا بتسليم هذه المنطقة الهائلة التى تبلغ أربعمئة ميل طولا ومائة وعشرين ميلا عرضا ، وتضم عدة ملايين من الألمان والتشيكيين ، وان مجرد التخلي عن الأرض سيوسع الفجوة بيننا وبين بولندا ، وسيقضى على كل سلطة أو قدرة لنا على تغيير مصيرها ، بالموقف المتبدل الذى تقفه روسيا منا ، والخرق المستمر للاتفاق الذى توصلنا اليه فى يالتة ، ومحاولة القفز على الدانمارك التى أحبطتها مونتجمرى لحسن الحظ فى اللحظة الأخيرة ، والزحف فى النمسا ، وضغط الماريشال تيتو المصحوب بالتهديد فى تريستا ، كلها أمور بدت لي ومستشارى أنها قد غيرت الأوضاع بالنسبة لتخطيط مناطق الاحتلال التى اتفقنا عليها قبل عامين ، وأصبح من الواجب البحث فى جميع هذه القضايا ككل الآن ، قبل أن تنسحب القوات البريطانية والأمريكية وقواتهما الجوية بفعل التسريح ، ومطالب الحرب اليابانية الشديدة ، كما ان الوقت صالح الآن لتسوية عامة .

وكنت أرى ان التخلي عن قلب المانيا كلها ، « بل قلب أوروبا وحجر الزاوية فيها ، بمجرد عمل فردى من جانب واحد » قرار يعتبر على جانب كبير من الخطورة والارتجال ، واذا كان لا بد من هذا التخلي فيجب أن يكون جزءا من تسوية عامة ودائمة ، والا فأننا سنذهب الى بوتسدام وليست فى أيدينا أوراق نساوم عليها ، وبذلك تتعرض جميع آمال السلام فى أوروبا للخطر ، وكان كل ما فى وسعى أن أفعله ، هو أن أرجو الاسراع فى موعد اجتماع الثلاثة ، فاذا فشلت فى ذلك ، فانى أعمل على تأجيل الانسحاب الى أن يتم بحث جميع المشكلات دفعة واحدة على أسس متكافئة .

ترى كيف أصبحت الحالة بعد ثمانى سنوات ؟ لقد امتد خط الاحتلال الروسى فى أوروبا من لوبيك الى لينز ، وأصبحت تشيكوسلوفاكيا كلها ضمن الاطار السوفييتى ، كما أصبحت دول البلطيق وبولندا ورومانيا وبلغاريا دويلات تابعة يحكمها نظام شيوعى جماعى ، وقد خرجت يوغوسلافيا على هذا النطاق ، ولم نتمكن الا من انقاذ اليونان وحدها ، وهكذا سمحنا فى لحظة النصر باختفاء تلك الفرصة التى كانت خير فرصنا ، بل آخر فرصة لنا للوصول الى سلام عالمى دائم ، وقد أرسلت للرئيس فى اليوم الرابع من يونيو البرقية التالية ، التى اعتقد أن هناك اليوم من يستطيع مناقشتها أو عدم تأييدها قلت فيها :-

« اعتقد انك مدرك السبب الذى يحملنى على التلهف لعقد اجتماعنا الثلاثى فى موعد مبكر ، وللقول انه الثالث أو الرابع من يوليو ، واننى لأنظر نظرة متشائمة الى احتمال انسحاب الجيش الأمريكى الى خط

الاحتلال فى القطاع الأوسط ، بحيث تتقدم القوة السوفيتية الى قلب أوروبا الغربية ، وبحيث يسدل ستار حديدى بيننا وبين كل ما يقع الى المشرق من أراضى ، وكنت أمل أن أمثل هذا الانسحاب ، اذا كان لابد منه يجب أن يصاحب تسوية الكثير من الأمور العظيمة التى يقوم على أساسها السلام العالمى ، ولم تتم حتى الآن تسوية أى شىء مهم ، وأرى اننى وإياك نتحمل المسئولية الكبرى بالنسبة الى المستقبل ، ولذا فمازلت أمل فى تقديم موعد الاجتماع .

وقد رد على المستر ترومان فى الثانى عشر من يونيو يقول :- ان الاتفاق الثلاثى المتعلق باحتلال ألمانيا والذي أقره الرئيس روزفلت بعد مشاورات تفصيلية ودرس طويل معى ، يجعل من المستحيل تأجيل انسحاب القوات الأمريكية من المنطقة السوفيتية حتى تتم تسوية المشكلات الأخرى ، وليس فى إمكان مجلس اشراف الحلفاء أن يبدأ عمله الا بعد اتمام هذا الانسحاب ، كما ان الحکم العسكري الذى يباشره القائد الأعلى للحلفاء يجب أن ينتهى دون تأخير ، وأن توزع مسئولياته بين أيزنهاور ومونتجمرى ، وأضاف الرئيس يقول : ان مستشاريه قد أفهموه بأن تأجيل الانسحاب الى ما بعد يوليو ، سيضر بعلاقات أمريكا مع السوفييت ، ولذلك فهو يقترح ارسال رسالة الى ستالين ، كما اقترح أن نصدر الأمر فوراً الى جيوشنا بالانسحاب الى مناطق احتلالها المقررة .

وكان الرئيس على استعداد لاصدار أمره الى القوات الأمريكية للبدء فى الانسحاب من ألمانيا فى الحادى والعشرين من يونيو ، وأن يعد القادة العسكريون الترتيبات اللازمة لاحتلال المناطق المعينة لهم فى برلين ، وأن يؤمنوا حرية الاتصال عن طريق السكة الحديد والطرق العادية والجوية من فرانكفورت وبريمن بالنسبة للقوات الأمريكية ، كما انه فى الامكان استكمال الترتيبات فى النمسا بصورة أسرع وأكثر سهولة ، وذلك بجعل القادة المحليين مسئولين عن تحديد مناطق احتلالهم فى البلاد وفى العاصمة ، وألا يعودوا الى حكوماتهم الا فى القضايا التى يعجزون هم عن حلها .

وكانت هذه الرسالة بمثابة نذير شر مستطير لى ، ولكن لم يكن أى وسعى غير الاذعان .

ويجب ألا ننسى ان المستر ترومان لم يكن له شأن ولم يستشر فى خطة تحديد مناطق الاحتلال الأصلية ، وكانت القضية بالنسبة اليه ، بعد تسلمه مدة الرئاسة هى ، هل يجوز له أن ينقض سياسة اتفقت عليها الحكومتان البريطانية والأمريكية فى عهد سلفه العظيم ؟ وليس لدى شك ، فى أن مستشاريه السياسيين والعسكريين قد أيدوه فى موقفه وكانت مسئوليته فى هذه اللحظة محصورة فى أن يقرر ما اذا كانت الأوضاع قد تبدلت بصورة جذرية بحيث يتطلب تبدلها اجراء مغايراً كل التغيير يمكن أن يتهم بنقض العهود والمواثيق .

وقد بدأت الجيوش البريطانية والأمريكية فى اليوم الاول من شهر يوليو ، انسحابها الى المناطق المخصصة لها ، تتبعها جموع حاشدة من

اللاجئين الألمان ، وبذلك ثبتت روسيا السوفيتية أقدامها في قلب أوروبا ، وكان هذا أسوأ تاريخ في مستقبل الجنس البشرى .

وبينما كانت جميع هذه الأمور تسير على قدم وساق ، كنت مشغولا الى قمة رأسي في المعركة الانتخابية التي اشتد وطيسها في الاسبوع الأول من يونيو ، وكان هذا الشهر والحالة هذه ، من أقسى الفترات التي مرت علي ، حيث بدأت الرحلات المجهدة بالسيارة الى مدن انجلترا واسكوتلنده الكبيرة ، مع القاء ثلاث خطب أو أربع كل يوم على جماهير كبيرة يبدو عليها الحماس ، واعداد أربع اذاعات حسنة الصيغة والاقناع مما كانت تستنزف كل وقتي وقوتي ، وكنت أشعر طيلة الوقت ان ما حاربنا من أجله في أوروبا قد بدأ ينهار ، كما ان الآمال في حلول سلمية دائمة ومبكرة ، أخذت تنطوي ، وكنت أقضي الأيام في وسط الجماهير الصاخبة ، وعند ما آوى في الليل الى القطار الذي جعلت منه مركز قيادتي ، كان ينتظرنى عدد لا بأس به من الموظفين وسيل لا ينقطع من البرقيات ، فاضطر الى قضاء ساعات طويلة أخرى في أعمال شاقة .

وقد سررت أخيرا بحلول يوم الاقتراع ، حيث تم اغلاق الصناديق وختمها بعد الانتهاء من الاقتراع ، وقد وضعت في أماكن آمنة ، لكي تفتح بعد ثلاثة أسابيع ، بعد جمع الصناديق من جميع أنحاء العالم التي توجد بها قواتنا .

ولهذا فقد قررت أن أقضي أسبوعا استمتع فيه بالراحة ودفع الشمس وحرارتها قبل موعد المؤتمر ، فسافرت الى بوردو مسع زوجتي وابنتي ماري ، ونزلت في فيلا جميلة وضعها تحت تصرفي الجنرال بروتينيل في « هنداي » على مقربة من الحدود الأسبانية ، وكنت أقضي معظم ساعات الصباح كل يوم في قراءة قصة رائعة لكاتب فرنسي عن تاريخ هدنة بوردو ، وقصة وهران المحزنة ، ومن الغريب أنني استعدت ذكرياتي عن سنوات خمس سابقة ، وقد تعلمت من هذه القصة أشياء كثيرة لم أكن أعرفها في حينها ، كما كنت أخرج بعد الظهر ومعى لوحاتي وأدوات الرسم الى بعض الأماكن الجذابة على نهر نيف وخليج سان جان دي لوز فأصورها .

وقد اقتصر عملي الرسمي في هذه الفترة على تصريف بعض البرقيات التي تتناول مؤتمرنا المقبل ، وقد حاولت ما وسعني من جهد في أن أبعد الخلافات الحزبية عن تفكيري ، ومع ذلك يجب أن أعترف ان سر صناديق الاقتراع وما تضمنه ، كان يطغى على تفكيري ، وما كنت لأستطيع ابعاد هذه الأفكار عني ، الا عندما أعد لوحتي وأبدأ الرسم .

وقد احتفى بنا أهل الباسك ، احتفاء رائعا ، فلقد عانوا فترة طويلة من الاحتلال الألماني ، وكانوا سعداء باستنشاق نسيم الحرية من جديد ، ولم أكن في حاجة الى اعداد أي شيء للمؤتمر ، فقد كنت أحمل في رأسي كل شيء ، ولما كان الرئيس ترومان قد أسحر على ظهر الطراد الأمريكي أوغسطة ، وهو الطراد الذي استقله الرئيس روزفلت عند مجيئه لاجتماعنا في الأطلنطي عام ١٩٤١ ، فقد أخذت السيارة في الخامس عشر من يوليو الى مطار بوردو ، حيث اقلتنى طائرتي « سيدة الأجواء » الى برلين .

«القنبلة الذرية»

وصل الرئيس ترومان الى برلين فى اليوم الذى وصلت فيه اليها ، وقد كنت متلهفا للتعرف عليه ، وكانت علاقاتى الودية معه على الرغم من بعض الخلافات ، قد اقيمت عن طريق المراسلة ، فقامت بزيارته فى صباح اليوم التالى لوصولنا ، وقد تأثرت بما يبدو عليه من اشراق ودقة فى الحديث ، وقدرة على الحسم فى المواقف .

وقد قام كل منا منفردا بجولات فى المدينة ، فى اليوم التالى لوصولنا ، ولم تكن المدينة الا حطاما من الخرائب ، ولم يكن قد صدر بيان عن زيارتنا ولذلك فقد كانت الشوارع خالية الا من المارة العاديين ، الا اننى رايت حشدا من الناس فى الساحة الواقعة امام دار المستشارية ، وعندما نزلت من السيارة ومشيت بين هؤلاء الناس ، هتف لى الجميع ، باستثناء رجل عجوز واحد ، هز رأسه هزة تنطوى على عدم الموافقة ، وكانت كراهيتى لهم قد زالت باستسلام ألمانيا ، وقد تأثرت تأثرا بالغا بمرآهم ، وبما يبدو على وجوههم من انهالك وتعب ، وعلى أجسامهم من ملابس رثة مهلهلة ، ودخلنا دار المستشارية ، وقضينا وقتا طويلا نجوب ابهامها وقاعاتها المحطمة ، كما رأينا الملجأ الذى أعده هتلر لنفسه للاحتباء فيه من الفارات الجوية ، كما رأينا الغرفة التى انتحر فيها هو وزوجته .

وكان المسلك الذى اتبعه هتلر ، أكثر ملامعة لنا من المسلك الذى كنت أخشى أن يتبعه ، فقد كان فى وسعه فى أى وقت من الأشهر الأخيرة من الحرب أن يطير الى انجلترا وأن يسلم نفسه قائلا : « افعلوا بى ما تشامون ، ولكن اتركوا شعبى الذى لم يكن له حول أو طول » ، ولاريب عندى فى أنه فى مثل هذه الحالة كان سيشترك مع مجرمى نورمبرج فى مصيرهم ، لأن المبادئ الخلقية للحضارة الحديثة تقضى بأن يعدم المنتصرون قادة الدول المنهارة فى الحرب ، ولا ريب فى أن مثل هذه المبادئ مستدفع القادة فى أى حرب مقبلة الى المضى فى القتال الى النهاية ، فمهما ضحوا بأرواح جديدة فان مصيرهم واحد ، وفى مثل هذه الحالة فان جماهير الشعب التى لا شأن لها فى شن الحروب أو انهائها هى التى تدفع الثمن الاضافى .

أما الرومان فقد كانوا يتبعون سبيلا مغايرا ، ولا شك فى أن الفضل فى انتصاراتهم يعود الى ماتميزوا به من رافة بقدر ماتميزوا به من قوة .

وفى السابح عشر من يوليو ، وصلت أنباء هزت العالم بأسره ، فقد قام ستيمسون بعظمه ذلك اليوم بزيارة مسكنى ، وبسط أمامى ورقة كتب

عليها « ولد الطفل بصورة مرضية » وتبينت من حديثه ان شيئا بارزا قد وقع ، واستمر يقول « ان هذه الجملة تعنى ان التجربة التى أجريت فى صحراء المكسيك قد نجحت ، وان القبيلة الذرية أصبحت أمرا واقعا ، وعلى الرغم من أننا كنا نتابع هذا البحث مما يصل إلينا من أنباء متفرقة ، الا اننى لم أعرف من قبل على الأقل بموعد التجربة الحاسمة ، كما انه لم يكن فى وسع أى عالم مسئول أن يتكهن بما قد يقع عندما تجرى تجربة أول تفجير ذرى ، هل هى عديمة الجدوى أو انها مبيدة وقاتلة ؟

لقد عرفنا الآن انه قد تمت « ولادة الاطفال » بشكل مرضى ، لكن ليس فى وسع أى انسان حتى الآن تقدير النتائج العسكرية الفورية لهذا الاكتشاف ، كما لم يقم أى انسان حتى الآن بتقدير أى شئ عنها .

ووصلت فى الصباح التالى ، طائرة تحمل وصفا كاملا لهذا الحدث العظيم ، فى التاريخ البشرى ، وجاء مستمسون بالتقرير الى ، واننى أشرح الآن القصة كما أتذكرها .

فقد فجرت القبيلة أو ما يعادلها على قمة « بيلون » - عمارة فرعونية ارتفاعها مائة قدم - وقد أخليت منطقة دائرية نصف قطرها عشرة أميال من كل انسان ، ووقف العلماء ومساعدوهم وراء دروع ضخمة من الأسمنت المسلح ، وملاجئ تبعد نحو من هذه المسافة ، وكان الانفجار مروعا ، فقد ارتفع عمود هائل من اللهب والدخان الى مقربة من حدود المنطقة الجوية التى تحيط بأرضنا المسكونة ، وكان التخريب داخل دائرة قطرها ميل واحد كامل ، وهكذا بدت النهاية السريعة للحرب الكونية ولأشياء أخرى أيضا .

وقد دعانى الرئيس للتشاور معه بعد ذلك ، وكان معه الجنرال ماريشال والاميرال ليهي ، وكنا قد وضعنا خططنا بالنسبة لليابان ، على اساس مهاجمة جزرها الأصلية بقصف جوى مرعب ، وبغزو تقوم به جيوش هائلة ، وكنا نتوقع مقاومة شديدة من اليابانيين الذين يقاتلون حتى الموت ، بتكريس رجال الساموراي ، لا فى المعارك الحربية الضخمة فحسب ، بل فى كل كهف وحفرة أيضا ، وتصورت منظر جزيرة أو كيناوا ، حيث أثر عدة ألوف من اليابانيين بدلا من الاستسلام ، أن يقفوا فى صف واحد ، وأن يقضوا على أنفسهم بالقذابل اليدوية بعد أن كان قادتهم قد أتموا طقوس الانتحار المعروفة بالهاراكيرى .

ويعنى القضاء على المقاومة اليابانية رجلا رجلا واحتلال بلادهم شبرا شبرا ، ضياع مليون أمريكى ونصف هذا العدد من البريطانيين أو أكثر منه ، هذا اذا تمكنا من ايصال هذه القوات الى بلادهم ، أما الآن فقد اختفى هذا الكابوس المرعب ، وطلعت أمامنا صورة بدت لنا جميلة ومشرقة ، وهى أن تنتهى الحرب كلها بهزة أو بهزتين عنيفتين ، وفكرت لتوى ، كيف يمكن لهذا الشعب اليابانى الذى كنت دائم الإعجاب بشجاعته ، أن يرى فى هذا الطيف من السلاح الغيبى أو فوق الطبيعى ، ذريعة تحفظ له شرفه وتحرره من التزاماته بالموت حتى آخر رجل محارب .

وكان هناك شيء أهم ، وهو أننا لن نحتاج الى الروس ، اذ أن نهاية الحرب مع اليابان لم تعد تعتمد على تدفق جيوشهم ، لتوجيه الضربة الأخيرة والحاسمة ، ولم نعد في حاجة الى أن نطلب منهم منة أو فضلا ، وأصبح في وسعنا أن نواجه مشكلات أوروبا على حقيقتها ، ووفقا لمبادئ الأمم المتحدة الواسعة ، وبدا أننا أصبحنا فجأة واقعين تحت سيطرة رغبة زحيمة في اختصار المذابح في الشرق ، وأمل أكثر اشراقا وسعادة في أوروبا ، وعلى أي حال ، لم يكن هناك ما نضيقه في النقاش ، في هل تستعمل القنبلة الذرية أولا تستعمل ؟ واتضح لنا أن تجنب مذبحة هائلة لا حدود لها ، وإن الوصول بالحرب الى نهاية ، وبالعالم الى السلام ، وأن مد يد الرحمة الى شعوبه المعذبة عن طريق غرض لقوة طاغية ، لا تكلف إلا بعض انفجارات ، كلها أمور جاءت بعد هذه الأخطار والمتاعب ، كمعجزة من معجزات الانقاذ .

وكانت موافقة بريطانيا المبدئية على استعمال هذا السلاح ، قد صدرت في الرابع من شهر يوليو أي قبل اجراء التجربة ، أما القرار النهائي فقد أصبح الآن بين يدي الرئيس ترومان ، الذي يملك السلاح ولم يداخلني الشك قط فيما سيكون عليه هذا القرار ، وفي أنه كان على حق في اتخاذه ، لكن الحقيقة التاريخية تظل قائمة ، ويجب الحكم على خيولها في مستقبل الأيام ، وهي أن القرار الذي اتخذه باستخدام القنبلة الذرية لأرغام اليابان على الاستسلام ، لم يكن في يوم ما مصدر خلاف حيث كان هناك اتفاق اجماعي وأتوماتيكي ودون حاجة الى سؤال أو نقاش حول المائدة التي كنا نجلس عليها . ولم أسمع أي اعتراض من أية جهة ، على أن الواجب يحتم علينا عدم استعمالها .

وكان السؤال الدقيق المعقد ، هو ماذا سنقول لستالين ؟ بعد أن أصبحنا في غير حاجة الى مساعداته في اخضاع اليابان ، وكان ستالين قد تعهد في مؤتمر طهران وبالتة ، بأن تهاجم روسيا السوفيتية اليابان فور هزيمة الجيش الألماني ، وتحقيقا لهذا الوعد ، بدأت منذ أوائل مايو ، حركة نقل واسعة ومستمرة للقوات السوفيتية الى الشرق الأقصى على سكة حديد سيبيريا ، ورأينا الآن أننا لسنا في حاجة الى هذه القوات ، وبذلك يكون ستالين قد فقد قوة المساومة ، التي كان قد استخدمها بنجاح مع الأمريكيين في يالتة ، إلا أنه كان على كل حال حليفا عظيما في الحرب ضد هتلر ، وقد شعرنا في هذه اللحظة أن من الواجب ابلاغه (الحقيقة الجديدة العظيمة) التي أصبحت تسيطر على الموقف دون أن نعطي له التفاصيل ، ولكن كيف ننقل اليه هذا النبأ ؟ أيكون النقل كتابة أو شفويا ؟ وهل سيكون الإبلاغ في جلسة رسمية أو خاصة أو في أثناء اجتماعاتنا اليومية أو بعدها ؟ وقد اختار الرئيس أخيرا الوسيلة ، فقال ، أعتقد أن من الخير أن أبلغه النبأ بعد اجتماعاتنا ، وأن أقول له أننا توصلنا الى اختراع طراز جديد من القنابل يختلف عن النوع المألوف ، وسيكون ذا أثر حاسم في عدم استمرار اليابانيين في الحرب ، وقد وافقت الرئيس على هذا الاجراء .

كما استمرت في هذه الاثناء الهجمات المدمرة على اليابان من

الجو والبحر ، ولم تحل نهاية شهر يوليو ، حتى كان الاسطول الياباني قد اختفى من الوجود تقريبا ، كما سيطرت القوضى على الوطن ، واخذ الدبلوماسيون المحترفون يميلون الى الاقتناع بأن الطريقة الوحيدة لانقاذ اليابان من التفكك الكلى ، هى أن يصدر الامبراطور امره قورا بالاستسلام ، ولكن السلطة كانت لا تزال فى ايدى زمرة من العسكريين الذين صمموا على ان يقودوا البلاد كلها الى الانتحار الجماعى ، بدلا من قبول الهزيمة ، ولم يرهب الدمار الرهيب الذى يواجههم ، هذه الزمرة الحاكمة المتعصبة ، التى ما فتئت تؤمن بمعجزة من نوع ما ، قلب الوضع الى صالحهم .

هذا ، وقد بحثت مع الرئيس فى محادثات طويلة مدة على انفراد او مع بعض مستشاريه ، ما يجب أن نفعله ، وأشارت الى الثمن الباهظ فى ارواح الامريكيين وفى ارواح البريطانيين ايضا ، اذا ما فرضنا على اليابان « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » وتركنا للرئيس أن يقرر ، ما يضمن لنا الحصول على كل مانراه ضروريا للسلام والامن فى المستقبل ، ويترك لليابانيين فى الوقت نفسه بعض المظاهر للحفاظ على كرامتهم العسكرية ، مع التاكيد لهم بوجودهم القومى اذا ما قاموا بتنفيذ جميع الضمانات التى يطلبها المنتصرون ، وقد رد الرئيس على باشمئزاز قائلا : — انه لا يعتقد فى وجود أى شرف عسكري لليابانيين بعد هجوم ميناء المؤلؤ « بيرل هاربور »

وقد تقرر اخيرا ان نوجه اندارا نهائيا الى اليابان ، نطلب فيه استسلام قواتها العسكرية بلا قيد ولا شرط فورا ، ونشرنا هذه الوثيقة فى السادس والعشرين من يوليو ، ولما رفض حكام اليابان العسكريون هذا الانذار ، أعد سلاح الجو الأمريكى خطته تبعا لذلك ، لالقاء قنبلة ذرية على هيروشيما ، وأخرى على ناجازاكي ، واتفقنا على أن نعطي للأهلى كل فرصة ممكنة ، وتم وضع الاجراء بالتفصيل وللتقليل الى أكبر حد ممكن من الخسائر فى الارواح ، قامت الطائرات الأمريكية فى السابع والعشرين من شهر يوليو ، بالقاء نشرات على احدى عشرة مدينة يابانية ، تحذرنا فيها أنها سوف تتعرض لقصف جوى هائل ، وهوجمت ست من هذه المدن فى اليوم التالى ، كما حطرت الطائرات اثنتى عشرة مدينة أخرى فى اليوم الحادى والثلاثين من يوليو . وقصفت أربعة منها فى اليوم الاول من أغسطس ، ووجه الانذار الأخير فى الخامس من شهر أغسطس .

وفى اليوم السادس من أغسطس أقيمت القنبلة الذرية الاولى على هيروشيما ، كما أقيمت فى اليوم التاسع من أغسطس القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناجازاكي ، وفى اليوم التالى وافقت الحكومة اليابانية — على الرغم من فتنة قام بها بعض العسكريين المتطرفين — على قبول الانذار ، على شرط ألا يؤثر ذلك على سلطات الامبراطور كحاكم مطلق ، فدخلت أساطيل الحلفاء خليج طوكيو ، وتم فى اليوم الثانى من سبتمبر توقيع وثيقة الاستسلام الرسمية على ظهر البارجة الأمريكية «ميسورى» وكانت روسيا قد أعلنت الحرب على اليابان فى الثامن من شهر أغسطس ،

أى قبل أسبوع واحد من انهيارها ، ومع ذلك طالبت بجميع حقوق الدولة المحاربة .

ومن الخطأ الافتراض بأن القنبلة الذرية ، هي التي قررت مصير اليابان ، فقد كان المصير المحتوم بالهزيمة ينتظرها ، قبل القائها ، وقد فرضت هذا المصير قوة الحلفاء البحرية المتفوقة التي مكنت الحلفاء فى الوقت نفسه من احتلال القواعد البحرية فى المحيط ، لتشن منها الهجوم النهائى ، ولترغم الجيش اليابانى فى الوطن على الاستسلام ، دون أن توجه إليه أية ضربة ، فقد تحطمت بحسرية اليابان ، حيث دخلت الحرب وهي تملك أسطولا من البواخر تزيد حمولته على خمسة ملايين ونصف مليون من الاطنان ، ثم زاد هذا الرقم من البواخر التي استولت عليها أو بنتها ، ولكن نظام القوافل والحراسة الذى وضعته كان غير كاف وكان مفتقرا الى التنظيم ، وقد تم اغراق باواخر يابانية تزيد حمولتها على ثمانية ملايين ونصف مليون من الاطنان ، ذهب منها نحو خمسة ملايين ضحية للغواصات .

ولما كانت خيبة الامل ، هي الطابع الذى تميز به مؤتمرنا الثلاثى الاخير ، فلن احاول أن أشرح جميع القضايا التي أثيرت فى مختلف الجلسات ، وان كانت لم تسو ولم تحل ، وسأكتفى بالحديث عما أصره بخصوص القنبلة الذرية ، وبتخطيط قضية الحدود الألمانية - البولندية ، لان هذه الاحداث لا زالت تعيش معنا حتى الآن .

فقد تم الاتفاق بيننا فى مؤتمر يالته ، على أن تتقدم روسيا بحلودها الغربية مع بولندا الى خط كرزون ، كما كنا قد اعترفنا دائما لبولندا فى حقها بدورها فى الحصول على تعويضات مناسبة من الارض الألمانية ، وكان السؤال هو الى أى مدى ؟ وإلى أية مسافة فى ألمانيا يجب أن تمضى بولندا فى توسيع حدودها ؟ فقد اختلفنا حول ذلك أكبر اختلاف ، وكان ستالين قد أراد توسيع حدود بولندا الغربية على طول نهر الأودر حتى نقطة التقائه بنهر النييسى الغربى ، وكان رؤساء الحكومات الثلاث ، قد تعهدوا لنا فى يالته ، باستشارة الحكومة البولندية ، ويترك الموضوع للتقرير النهائى فى مؤتمر الصلح ، وكان هذا خير ما استطعنا عمله ، ولكننا واجهنا فى يوليو عام ١٩٤٥ وضعاً جديداً ، فقد وسعت روسيا حدودها الى خط كرزون ، وكان هذا يعنى كما أدركت أنا وروزفلت ، أن الملايين الثلاثة أو الأربعة من البولنديين الذين يعيشون على الجانب الثانى من الخط ، يجب أن ينزحوا الى الغرب ، وواجهنا الآن أمراً أسوأ من هذا ، فقد وسعت حكومة بولندا التي يسيطر عليها السوفييت حدودها لا الى النييسى الشرقى بل الى الغربى أيضاً ، ويسكن الالمان معظم هذه المنطقة ، وعلى الرغم من أن عدة ملايين قد فروا غرباً ، الا أن عدداً كبيراً قد ظل فى مكانه ، فماذا سنصنع هؤلاء ؟ كما أن ثقل أربعة ملايين بولندي أمر سيء فى حد ذاته ، فهل يتحتم علينا أن ننقل ثمانية ملايين المانى أو

أكثر أيضا ؟ وحتى لو أمكننا تحقيق ذلك ، فليس هناك ما يكفيهم من الطعام فى الأقسام المتبقية من المانيا لأن معظم القمح الذى تنتجه المانيا فى الأراضى التى أخذها البولنديون ، وإذا حرمننا هذا القمح ، فإذنا معشر الحلفاء الغربيين سنظل مسيطرين على مناطق صناعية خربة ، وشعب متضخم جائع ، وهنا يكمن خطر بالنسبة لسلام أوروبا فى المستقبل أكبر من الخطأ الذى تمثله الألزاس واللورين ، أو ممر دانزيغ، وسيأتى يوم يطالب فيه الألمان باسترداد أراضيهـم ؟ ولن يكون فى وسع البولنديين أن يحولوا بينهم وبين استعادتها .

والآن يجب على أن اتحدث عن الاتصالات الشخصية والاجتماعية التى خففت شيئا من حدة مناقشاتنا الجدية ، وكان على كل وفد من الوفود الكبيرة أن يقيم الولايم للوفدين الآخرين ، وقد وقع الدور على الولايات المتحدة أولا ، وعندما جاء دورى ، اقترحت أن نشرب نخب « زعيم المعارضة المقبل أيا كان الزعيم » وقد سر المستر أتلى الذى كنت قد دعوته الى المؤتمر ، تطبيقا لنظريتي فى أن من واجب رئيس كل حكومة فى أوقات الازمات أن يعد نائبا له يعرف كل شئ ، ويستطيع أن يحافظ على الاستمرار فى حالة وقوع أحداث ، كما كان العشاء السوفيتى رائعا أيضا ، واشتمل على حفلة موسيقية عزف فيها كبار الفنانين الروس ، وقد استمرت الحفلة الى ساعة متأخرة من الليل ، حتى اننى اضطررت الى التسلل والذهاب .

وعندما انتهى اجتماعنا الرسمى فى اليوم التالى ، اى فى الرابع والعشرين من يوليو ، ونهضنا جميعا ، رايت الرئيس يتجه الى ستالين فيقف بجانبه ، ويأخذ الرجلان فى حديث وليس معهما الا المترجمان ، وكنت واقفا على بعد خمسة ياردات تقريبا ، حيث كنت ارقب باهتمام بالغ الحديث الخطير التاريخى ، لأنى كنت أعرف ما اعتزم الرئيس أن يقوله ، وكان يهمنى أن أعرف مدى تأثير قوله على ستالين ، وانى لارى الصورة أمامى الآن وكأنها وقعت بالأمس لقد بدا عليه السرور ، وقال : قنبلة جديدة ! لها قوة خارقة ! قد تكون حاسمة فى تقرير الحرب كلها مع اليابان ! ياله من حظ سعيد ! كانت هذه الانطباعات التى حملتها تلك الساعة ، وكنت على ثقة من أنه لم يقدر تماما أهمية ما قيل له ، وبدأ لى أن القنبلة الذرية لم تلعب دورا فى متاعبه وجهوده ، ولو كانت لديه أية فكرة ولو ضئيلة ، عن الثورة التى تحدث الآن فى الشئون العالمية بسبب هذا الاختراع لكان رد فعله مغايرا تماما ، ولم يكن أسهل عليه من أن يقول « شكرا لك على إبلاغك اياى زبا قنبلتك الجديدة وبالطبع انا أعرف شيئا عن الحقائق المتعلقة بها ، فهل تسمح لى بأن أبعث بخبرائى فى العلوم النووية لمقابلة خبرائك فى صباح غد ؟ » ، ولكن وجهه ظل مرحا وطبيعيا ، ولما انتهى الحديث بين الزعيمين ، استفهمت من الرئيس ، عن كيفية سير الامور ؟ فرد على بقوله ان ستالين لم يوجه اليه اى سؤال .

وماد المؤتمر للاجتماع فى اليوم الخامس والعشرين من يوليو ، وكان هذا آخر اجتماع حضرته ، وقد أثرت من جديد موضوع بولندا ،

وقلت ان حدودها الغربية لا يمكن ان تقرر دون ان ناخذ بعين الاعتبار مشكلة المليون وربع المليون من الالمانيين الذين يعيشون في المنطقة ، وهنا اكد الرئيس بان اية معاهدة للصلح لا يمكن ان تبرم دون موافقة مجلس الشيوخ الأمريكى ومشورته ، وعليها اذن ان نجد حلا ، يستطيع ان يوصى به معتذرا للشعب الأمريكى ، فقلت اننا اذا سمحنا لبولندا بان تكون دولة الاحتلال الخامسة في ألمانيا دون ان نتخذ الترتيبات لتوزيع المواد الغذائية ، التى تنتج في ألمانيا بصورة عادلة على الشعب الألمانى كله ، ودون ان نتفق على التعويضات وغنائم الحرب ، فان مؤتمرنا يكون فاشلا ، لان جذور المشكلات لا تزال قائمة امامنا ، ولم نصل حتى الآن الى اتفاق بشأنها ، فقال ستالين ، ان الحصول على الفحم والمعادن من الروهر اهم بكثير من المواد الغذائية وقلت ان هذه المعادن يجب ان تتم مقايضتها بالمؤن من المنطقة الشرقية ، والا فان المعدنين لن يستطيعوا استخراج الفحم والمعادن وكان رد ستالين ، انهم قد الفوا في الماضى لاستيراد المواد الغذائية من الخارج وفى وسعهم ان يواصلوا استيرادها ، فسأله ، اذن كيف يمكن لهم ان يدفعوا التعويضات ؟ فرد قائلا ، « ما زال هناك شحم كثير على جسم ألمانيا » ورفضت ان اقبل فكرة المجاعة في الروهر لان البولنديين يريدون الاحتفاظ بجميع المناطق التى تنتج القمح فى الشرق ، وقلت ان بريطانيا نفسها تفتقر الى الفحم ، فقال ستالين ، « اذن فليشتغل الاسرى الالمان فى مناجمكم ، ان هذا ما افعله انا الآن » واضاف قائلا : وما زال هناك اربعون ألف المانى فى الترويج وفى وسعك ان تأخذهم من هناك ، وقلت ، اننا نصدر الفحم الذى نحتاج اليه الى فرنسا وهولندا وبلجيكا ، فلماذا يبيع البولنديون الفحم الى السويد فى حين تحرم بريطانيا نفسها الشيء الذى نحتاج اليه لمساعدة البلاد المتحررة ؟ فرد ستالين قائلا : - ولكنها تبيع الفحم الروسى وما زال موقفنا اصعب من موقفكم ، فقد خسرنا اكثر من خمسة ملايين رجل فى الحرب ، ونحن فى اشد الحاجة الى الايدى العاملة ، وعدت الى نقطتى اثريها من جديد ، سنرسل الفحم من الروهر الى بولندا او الى اى مكان آخر ، بشرط ان نحصل بدلا منه على المواد الغذائية لعمال المناجم الذين ينتجون الفحم .

وهنا توقف ستالين لحظة ليفكر ، وقال : - ان القضية كلها تحتاج الى المزيد من الدرس ، فوافقته على ذلك ، وقلت اننى لا اريد الا الاشارة الى المتاعب التى نواجهها ، وهذا بالنسبة الى هو كل ما يهمنى .

وبما انه لا يمكننى ان اتحمل مسئولية تتجاوز النتائج التى توصلنا اليها فى مؤتمر بوتسدام ، فقد اثرت فى المؤتمر جميع النقاط التى لم نتفق عليها وتركناها معلقة ، وهكذا فقد تكبدت مجموعة ضخمة من القضايا التى لم نصل الى اتفاق بصدددها ، وكنت اعتزم اذا ظهرت نتائج الانتخابات فى بلادنا فى صالحتها ، وعدت الى الحكم ، كما كان متوقعا ، ان اشتبك مع السوفييت فى حطام مكشوف لتقرير هذه القضايا ، فما كنت لاقبل قط ، وما كان للمستتر ايدى ان يقبل ايضا ، ان يكون نهر النيسى الغربى حدا لبولندا ، وكنا قد قبلنا بخط الاودر والنيسى

الشرقي كتعويض على بولندا مقابل انسحابها الى خط كرزون ، ولكن ما كان لاية حكومة رأسها ، أن تقبل احتياج الجيوش الروسية لجميع المناطق الممتدة حتى النيسي الغربي والى ماوراءه أيضا ، ولم تكن القضية تتعلق بالمبدأ فحسب ، وانما كانت تتناول حقيقة هائلة ، تؤثر على نحو ثلاثة ملايين آخرين من المشردين الذين سيجلون عن بيوتهم .

وكانت هناك قضايا أخرى ، وكان لزاما علينا أن نصمد بسببها أمام الروس وأمام البولنديين الذين بدوا وكأنهم بعد أن ابتلعوا هذه القطع الكبيرة من الارض الألمانية قد أصبحوا اشد انصار السوفييت ، ولكن نتائج الانتخابات العامة ، قد أدت الى تجرئة المفاوضات كلها ، والى وصولها الى نتائج سابقة لأوانها ، وأنا لا أقول هذا لانحى باللائمة على وزراء الحكومة الاشتراكية التي خلفتنا ، والذين اقحموا في المفاوضات دون دراسة جدية سابقة ، كما لم يكونوا على اطلاع على آرائى وخططى ، بحيث يشتبكون في نزاع في نهاية الامر ، ويحكمون عليه بالفشل اذا اقتضى الامر ، بدلا من السماح بتجاوز نهري الاودر والنيسي الشرقي ، واعطاء الاراضى الواقعة وراهمما الى بولندا ، وكان في الامكان اصلاح الوضع حتى في مؤتمر بوتسدام .

ولكن تحطيم الحكومة القومية البريطانية واختفائي عن المسرح في ذلك الوقت الذي كنت لازال أتمتع فيه بنفوذ عظيم وقوة كبيرة ، قد جعلنا من المستحيل الوصول الى حلول مرضية .

ولو كانت الظروف عادية ، لشعرت بالحرية في أن اقضى بضعة ايام في استكمال القضايا الرسمية بالطريقة المألوفة ، وكان في وسعي من الناحية الدستورية ، أن أنتظر انعقاد البرلمان بعد بضعة ايام ، وأن اودع المجلس الجديد ، وكان في وسعي عن طريق مثل هذا الترتيب أن أتقدم الى المجلس والى الشعب قبل الاستقالة حاملا خبر استسلام اليابان ، ولكن الحاجة الى تمثيل بريطانيا فورا تمثيلا قويا يستند الى صلاحيات صحيحة في المؤتمر الذي غادرناه ، والذي كانت القضايا الكبرى التي بحثناها فيه ما زالت معلقة امامه ، جعلت كل تأجيل في الاستقالة ، يتنافى مع المصلحة العامة ، وقد كان حكم الناخبين من الناحية الأخرى مبرما ومعبرا بشكل طاع ، مما جعلني غير راغب في البقاء ساعة أخرى مستولا عن تصريف شئونهم ، فطلبت التشرف بالمقابلة الملكية ، وتوجهت في الساعة السابعة الى القصر ، حيث رفعت استقالتي الى الملك ، وأشارت على جلالتها بأن يعهد بالحكم الى المستر آكللي ، ووجهت الى الامة الرسالة التالية التي أرى أن أختتم بها هذا الكتاب :

٢٦ يوليو ١٩٤٥

« لقد سجل الشعب البريطاني قراره في الاحداث التي جمعها اليوم ، ولهذا فقد ازاح عن عاتقي المسؤولية التي اضطلعت بها في اوقات أكثر حلوكة وظلاما ، ويؤسفني ، اننى لم يسمح لي ، باكمال العمل

ضد اليابان ، ولكن جميع الخطط والامدادات لاكمال هذا العمل قد تمت ، وستظهر النتائج في وقت أقرب بكثير مما كان في استطاعتنا ان نتصوره أو نتخيله ، وستقع على عاتق الحكومة الجديدة مسئوليات ضخمة في الخارج والداخل ، ولنتوجه كلنا بالدعاء لها بأن توفق في تحمل هذه المسئوليات .

ليس أمامي الآن الا أن أعرب للشعب البريطاني ، الذي عملت من أجله ، طيلة تلك السنوات الخطيرة ، من عميق شكرى ، للتأييد الكامل ، الذى لم تشبه أية شائبة من التردد ، والذى أولانى إياه في أثناء قيامى بالواجب ، كما أعرب عن صادق عرفانى لمظاهر العطف التى فمر بها الشعب خادمه المطيع » .

الخصامة

يوليو ١٩٤٥ - فبراير ١٩٥٧

أتاجت لى هذه الطبعة الجديدة من المذكرات التى وضعتها من الحرب الماضية الفرصة اليوم لاستعرض الاحداث الضخمة التى وقعت فى الاثنى عشر عاما الأخيرة التى تلت انتهاء الحرب ، ولأعرب عن آرائى تجاهها .

فعندما غادرت بوتسدام فى الخامس والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٥ ، كنت أتوقع الفوز فى الانتخابات بأغلبية معقولة ، وكان من المذهل أن تصدمنى الحقائق المرة القاسية ، ولما كانت ادارة دقة الحرب ومعالجة الاوضاع عند نهايتها الظافرة ، قد ألتهنى عن فهم حقيقة ماوقع فى الجزر البريطانية ، ولو اننى فهمتها حين ذاك ، لكان فى امكانى أن أرتب الأمور بشكل مغاير تماما ، فلقد جاء رأى أغلبية الجنود ، بعد ما أظهروه لى فى أثناء تلك الفترة من علائم الحب والنوايا الطيبة ، مفاجئا لى تمام المفاجأة ، كما كانت نتائج الانتخابات وأرقامها مفاجأة أكبر لأوروبا وأمريكا وروسيا ، لأن الجميع كانوا لا يتوقعون بعد ما رأوا من ثبات الشعوب البريطانية مامكنها من التغلب على جميع المحن التى مرت بها فى عام ١٩٤٠ ، والذي جعل من السهل عليها أن تجتاز سنوات النضال الخمس منتصرة ظافرة ، ألا تتبدل الحكومة .

كما لم أحاول فى أثناء مؤتمر بوتسدام حتى اللحظة الأخيرة أن أشتبك مع روسيا فى خصام ، بسبب سلوكها الذى يبعث على الدهشة والذهول منذ أيام مؤتمر يالطة ، وكان أملى كبير فى ألا تنسحب الجيوش الأمريكية من المناطق الواسعة التى احتلوها فى أوروبا الوسطى ، فلقد كانت هذه هى الورقة الرابعة الوحيدة التى يحملها الحلفاء فى أيديهم عندما توقف القتال ، للوصول عن طريقها الى تسوية مرضية ، ولم تكن بريطانيا تطلب شيئا لنفسها ، ولكنى كنت واثقا من أنها كانت ترى فى هذا التقدم الذى تقوم به روسيا فى جميع الاتجاهات ، شيئا يفوق كل ما هو عدل ، وظهر ان الأمريكين لم يكونوا مدركين لخطورة الوضع ، أما الدول التابعة ، كما أصبحت تدعى ، فتحتلها الجيوش الروسية ، كما كانت برلين فى أيديهم ، مع أنه كان فى وسع مونتجمرى أن يحتلها لو سمح له بذلك ، وكان الروس يسيطرون على فينا ، ولم يكن يسمح لممثل الحلفاء ، حتى كأفراد بالوصول الى العاصمة المهمة ، أما بالنسبة للبلقان ، فقد أصبحت رومانيا وبلغاريا محتلتين ، كما كانت يوغوسلافيا تهتز تحت تيتو زعيمها الوطنى المشهور ، وكان الروس قد احتلوا براغ بموافقة

١ أمريكا كما يبدو ، وهم يسيطرون على بولندا التي اتفق على أن يمتد حدها
٢ الغربى الى قلب أوروبا على حساب ألمانيا ، ومع ذلك فقد اتضح أن وجهة
النظر الأمريكية كانت ترى ان هذه الأمور ضرورية للبقاء على ألمانيا تحت
٣ السيطرة ، كما كانت تهدف الى عدم الوقوف فى صف بريطانيا ضد
روسيا .

وقد سافرت عندما حل الشتاء الى الولايات المتحدة حيث قضيت
فيها عدة أشهر ، زرت خلالها البيت الأبيض ووزارة الخارجية ، كما
تلقيت دعوة لآلقى خطابا فى كلية وستمنستر فى فولتون ، وميسورى فى
شهر مارس عام ١٩٤٦ ، ولما كان أمامى بضعة أشهر قبل حلول موعد
الخطاب فقد ظللت أطلع على الاحداث أولا بأول ، كما استفهمت من البيت
الأبيض ومن وزارة الخارجية ، عما اذا كانت اثارى لبعض الموضوعات
ستحدث حرجا للحكومة الأمريكية ، فأكده لى الجميع ، بأن فى وسعى أن
أقول كل ما أريد ، ولذلك فقد عكفت على اعداد خطابى اعدادا لائقا ،
وفى أثناء هذه الفترة ، بدأ الوضع المتمثل فى شراة روسيا والشيوعية
الدولية التى لا تشبع ، والذى يواجهنا ، يترك أثره وانطباعاته القومية
فى الأوساط الأمريكية .

وقد عرضت النقاط التى أعدتها على المستر بيرنز وزير الخارجية
الأمريكية فوجدته متفقا مع آرائى الى حد كبير ، ولما حل الموعد ، دعانى
الرئيس للسفر معه فى قطاره الخاص حيث كان سيبرأس المحاضرة ،
فمضينا الليل كله فى القطار حتى وصلنا الى فولتون ، وقضينا معا وقتا
ممتعا ، ولما كنت واثقا من أن وزير الخارجية قد اطلع الرئيس على المخطط
العام لمحاضرتى ، وقد ظهر لى أنه كان راضيا عنه ، فقد قررت أن ألقيه كما
وضعتة ، لأن الانسان يجب أن يكون على حذر فى موضوع الخطب التى
يلقيها فى بلاد الآخرين ، وهذا بعض ما قلته فى المحاضرة :-

« لقد خيم ظل ثقيل على المناطق التى أضاءتها انتصارات الحلفاء
مؤخرا ، ولا يدرى الانسان ، ماذا تنوى روسيا السوفيتية ومنظمتها
الشيوعية الدولية ، أن تفعل فى المستقبل القريب ، أو ما الحدود « ان
يوجدت » لاتجاهاتها الواسعة والتبشيرية ؟ »

وانى لمعجب أشد الاعجاب بالشعب السوفيتى الشجاع واحترمه كل
الاحترام ، كما أعجب بزميل أيام الحرب الماريشال ستالين واحترمه ، كما
ان هناك احساسا عميقا من العطف وحسن النية فى بريطانيا وهنا كما
أعتقد نحو شعوب روسيا كلها ، كما ان هناك تصميمًا على الاستمرار
برغم جميع الخلافات والصدمات ، على اقامة صداقات دائمة ، ونحن نفهم
تمام الفهم حاجة روسيا الى الطمأنينة على حدودها الغربية ، وازالة كل
احتمال للعدوان الألمانى ، كما نرحب بروسيا فى المكان الذى تستحقه بين
دول العالم القائدة ، ويسرنا أن نرحب بعلمها يخفق فوق البحار ، وفوق
ذلك كله فاننا نرحب بالاتصالات المستمرة والدائمة والمتزايدة بين الشعب
الروسى وبين شعبينا على جانبى الأطلنطى .

ومع ذلك فان واجبى يفرض على - وأنا واثق من أنكم تريدونمنى ذلك -

إن اذكر لكم الحقائق كما أراها ، وأن أضع تحت أعينكم بعض القضايا التي تتعلق بالأوضاع الراهنة في أوروبا .

فقط هبط ستار حديدي على القارة الأوروبية ، ممتد من ستيتين على بحر البلطيق الى تريستا على بحر الادرياتيك ، ووراء هذا الستار تقوم عواصم جميع الدول العريقة في أواسط أوروبا وشرقيها ، فوارسو ، وبرلين وبراغ وفيينا وبودابست وبلغراد وبوخارست وصوفيا ، أجل كل هذه المدن الشهيرة وما حولها من سكان ، تقوم الآن ويقيمون في المنطقة التي ادعوها بالسوفييتية ، وكلها تتعرض بشسكل أو بآخر ، لا للنفوذ السوفييتي فحسب ، بل الى حد ضخم من اشراف موسكو وسيطرتها في كثير من الحالات ، أما اثينا - اليونان الخالدة بأمجادها ، فهي الوحيدة التي لها مطلق الحرية في تقرير مستقبلها في انتخابات تجري في ظل مراقبة بريطانية وأمريكية وفرنسية ، وقد شجعت الحكومة البولندية التي يسيطر عليها الروس ، على أن تقوم باغتصابات ضخمة وخاطئة من ألمانيا ، وما نحن أولاء نشهد الآن طرد وتشريد الملايين من الألمان على نطاق ضخم لا مثيل له في التاريخ وبشكل محزن ومؤلم ، وقد ارتفعت الأحزاب الشيوعية التي كانت صغيرة جدا في جميع دول أوروبا الشرقية الى مرتبة البروز والسيطرة ، دون أن يتفق هذا مع قوتها العددية ، وهي تحاول في كل مكان الوصول الى السيطرة الجماعية ، كما تسيطر الحكومات البوليسية في كل مكان ، وليست هناك ديموقراطية حقيقية في أي مكان باستثناء تشيكوسلوفاكيا .

وقد أصاب الفرع العميق كلا من تركيا وإيران من جراء هذه المطالب التي تتقدم بها حكومة موسكو اليهما ، ومن جراء هذا الضغط الذي تفرضه عليهما ، ويقوم الروس في برلين بمحاولة لاقامة حزب شبه شيوعي في المناطق التي يحتلونها من ألمانيا ، عن طريق ما يبدو من عطف خاص على الجماعات ذات الجناح اليساري ، وقد انسحبت الجيوش الأمريكية والبريطانية في نهاية الحرب في شهر يونيو ، غربا ، طبقا لاتفاق سابق الى مسافة تبليخ في بعض النقاط مائة وخمسين ميلا على جبهة تمتد أربعمائة ميل ، وذلك لكي نسمح لحلفائنا الروس باحتلال هذه المساحات الشاسعة من الأرض التي فتحتها قوات الدول الديموقراطية الغربية .

واذا ما حاولت الحكومة السوفييتية الآن عن طريق عمل فردي ، أن تقيم ألمانيا موالية للشيوعية في المناطق التي تحتلها ، فإن هذه المحاولة ستخلق متاعب خطيرة وجديدة في المناطق البريطانية والأمريكية ، وسنعطي للألمان المهزومين القدرة على المساومة بين السوفييت والديموقراطيات الغربية ، ومهما كانت النتائج التي نصل اليها من هذه الحقائق - وهي حقائق حتميا - فإنها ليست الصورة التي حاربنا من أجلها ، والتي أردناها لأوروبا المحررة ، كما أنها ليست الصورة التي تشتمل على أسس السلام الدائم .

وكان الجمهور يصغى الى باهتمام زائد ، كما أعرب الرئيس والمستتر

بيرنز عن استحياسانها لما قلت ، أما الصحف فقد صدرت وهي مليئة
بالتعليقات المختلفة ، وعندما وصلت الأنباء الى روسيا قوبلت بمقابلة
سيئة ، ورد على ستالين كما ردت على البرافدا ، وهذا ما كنت أتوقعه ،
وقد وصفتني البرافدا بأننى « داعية للحرب ومن أعداء السوفييت » ،
وقالت اننى أحاول تحطيم الأمم المتحدة ، واتهمنى ستالين بأننى أدعو
لمحاربة الاتحاد السوفييتى وشبهنى بهتلر .

كما وجهت أيضا أسئلة بصدد هذا الخطاب فى مجلس العموم ،
وقد رد عليها المستر آتلى الذى كان رئيسا للوزراء فى ذلك الحين ، بأنه
لا يطلب الى الحكومة أن تبين وجهة نظرها فى خطاب يلقيه مواطن عادى
فى بلد أجنبى .

وكان من المقرر أن ألقى خطابا آخر بعد بضعة أيام فى نيويورك ،
حيث أكون ضيفا على رئيس البلدية والمجلس البلدى ، ورأيت لافتات
شيوعية تحيط بفندق والدورف استوريا ، الذى كان من المقرر أن ألقى
خطابى فيه ، فى أثناء مأدبة العشاء التى تقام تكريما لى ، وفوجئت أيضا
بامتناع المستر دين اتشيسون ، وكيل وزارة الخارجية عن حضور المأدبة ،
ولما سمع المستر جون وينانت بهذا التغيير فى الخطة وهو فى واشنطن
بعد الظهر ، استقل فورا القطار ووصل فى أثناء المأدبة لكى يؤيدنى ،
وليلقى خطابا وديا للغاية ، وقد جاء فى خطابى ما يلى :-

وعندما تحدثت فى فريجتون قبل عشرة أيام ، شعرت أن ليس من الضرورى
بالنسبة لشخص لا يشغل مركزا رسميا ، أن يتحدث فى عبارات متحفظة
حول الأوضاع الراهنة فى العالم ، وانى لا أرغب فى أن أعدل كلمة واحدة
مما قلته فى ذلك الخطاب ، ولقد دعيت لأقول رأى بحرية فى هذه البلاد
الحرة ، وانى لوائق من أن الأمل الذى أعربت عنه فى تزايد الترابط بين
بلدينا ، سيحقق حتما ، لا بسبب خطاب يقال ؛ بل للتيارات التى
تسرى فى القضايا الانسانية ، وفى سير مصير العالم الذى أخذ فى
التكشف .

والسؤال الواضح الصريح فى رأى ، هو هل يتحقق الانسجام
الضرورى فكرا وعملا ، بين الشعبين البريطانى والأمريكى بصورة واضحة
وكافية ؟ وبشكل سريع ، بحيث يضمن الحيلولة دون وقوع صراع عالمى
جديد ، أو انه لن يقع هذا الانسجام الا بعد أن يكون الصراع العالمى قد
وقع كما حدث فى الماضى ؟

على أى حال دعونى أقول لكم ، ان تقدم جميع شعوب العالم
وحريتها ، فى ظل حكم من القانون تفرضه منظمة عالمية أمران لن يتحققا ،
ولن يحل عهد من الرخاء دون جهود مستمرة وصادقة وغير هيابة من
نظامى المجتمع فى بريطانيا وأمريكا .

وقد أخذ الغليان والاضطراب فى الصحف والرأى العام يشندان ،
كما أخذ جو من الاثارة والحمايس يتزايد .

وقد قضيت مطلع خريف عام ١٩٤٦ فى منزل على شواطئ بحيرة جنيف ، وعندما حان أوان أوبتى للوطن ، قمت بزيارة ممتعة الى جامعة زيوريخ ، والقيت فى طلابها خطابا عن مأساة أوروبا وعن الحالة التى وصلت اليها ، ودعوت الى اقامة ولايات متحدة أوروبية أو شىء من هذا القبيل ، وقلت : -

« لقد سرنى غاية السرور ما قرأته فى الصحف قبل يومين ، من أن صديقى الرئيس ترومان قد أبدى اهتمامه وعطفه على هذا المشروع العظيم ، ولا أرى سببا هناك يدعو الى وجود أى تضارب بين منظمة اقليمية من هذا النوع وبين منظمة الأمم المتحدة العالمية ، وانى على النقيض من ذلك أعتقد بأن المنظمة الكبيرة لن يقدر لها العيش الا اذا قامت على أساس مجموعات منسجمة انسجاما طبيعيا ، فهناك مجموعة منسجمة طبيعيا تقسوم فى منتصف الكرة الغربى ، كما نملك نحن البريطانيين جامعة شعوبنا البريطانية ، ومثل هاتين المنطمتين لا تضعفان المنظمة العالمية وانما تدعمانها وتقويانها ، انهما فى الحقيقة الدعامة التى تدعمها ، فلم لا تكون هناك أيضا مجموعة أوروبية ، تضيف معنى أوسع من الوطنية والرعاية المشتركة على الشعوب المستضمة فى هذه القارة القوية ، والملاهى بالمشاغبات والفتن ؟ ولم لا تأخذ مكانها الصحيح مع المجموعات الكبيرة الأخرى فى تقرير مصير الانسانية ، وللوصول الى هذا يجب أن يكون هناك احساس من الايمان تشترك فيه ملايين الأسر التى تتحدث لغات مختلفة أشتراكا واعيا . »

وكلنا يعرف أن الحربين العالميتين اللتين خضناهما ، قد نشأتا عن رغبة عابثة من جانب ألمانيا ، التى أرادت أن تلعب دورا مهيمنيا على العالم ، فعلىنا أن ننزع من ألمانيا القدرة على إعادة التسليح وعلى شن حرب عدوانية أخرى ، ولكن عندما يتم هذا كما يجب أن يتم ، فيجب أن تكون هناك نهاية للقصاص والعقوبة ، ويجب أن يكون هناك ما أسماه المستر جلادستون قبل سنوات ، « بعمل مبارك من أعمال النسيان » .

وعلىنا أن نتناسى جميعا أهوال الماضى ومتاعبه ، وأن نتطلع الى المستقبل دون أن نحمل السنوات القادمة الكراهيات والثرات التى تخلفت عن أساءات الماضى ، واذا قدر لأوروبا ، أن تنجو من التعاسة التى لا حدود لها ، وأن تتخلص من الدمار النهائى ، فيجب أن يكون هناك ايمان بالعائلة الأوروبية ، وأن يكون هناك نسيان لجميع جرائم الماضى وحماقاته .

وسأقول الآن شيئا قد تنهلون له ، ان الخطوة الأولى لخلق الاسرة الأوروبية هى فى قيام شركة بين فرنسا وألمانيا ، بهذه الطريقة وحدها تستطيع فرنسا استعادة زعامتها الأوروبية لأوروبا ، ولا يمكن أن يكون هناك بعث لأوروبا بدون وجود فرنسا عظيمة روحيا وألمانيا عظيمة روحيا ، وسيكون كيان الولايات المتحدة الأوروبية ، اذا قدر لها أن تقوم على أسس قوية وصحيحة من النوع الذى يجعل القوة المادية لاية دولة منفردة غير ذات أهمية ، لكى تكون للدول الصغرى قيمة الدول الكبرى نفسها ، وستحقق جميعها كرامتها عن طريق الاسهام فى القضية المشتركة ، وفى

وسمى دول ألمانيا وإماراتها العريقة التى اتحدت لمنافع متبادلة فى نظام اتحادى ائتلافى. (فيلدراى) أن تأخذ مركزها الفردى كما تشاء فى الولايات الأوروبية المتحدّة ، ولكن أحاول وضع برنامج مفصل لمئات الملايين الذين يريدون أن يعيشوا سعداء وأحرارا ، مرفهين وآمنين ومطمئنين ، والذين يرغبون فى أن يتمتعوا بالحريات الأربع التى تحدث عنها الرئيس العظيم روزفلت ، وأن يعيشوا طبقا للمبادئ التى تضمنتها اتفاقية الأطلسنطى وإذا كانت هذه هى إرادتهم فعليهم أن يعلنوها ، وفى الامكان إيجاد الوسائل واقامة الاجهزة التى تضمن لرغبتهم الاثمار الكامل .

ولكنى أرى لزاما على أن أحذركم ، فالوقت قد يكون قصيرا ، اننا الآن نعيش فترة استراحة ، فقد توقفت المدافع عن الانطلاق ، ووقف القتال ، ولكن الاخطار ما زالت قائمة ، وإذا كان لزاما علينا أن نؤلف الولايات المتحدة الأوروبية ، أو أن نسميها أية تسمية نشاء ، فعلىنا أن نبدأ الآن ، .

هذه هى الافكار التى ساورتنى فى عام ١٩٤٦ . وقد بدت لفرنسا المعذبة التى نجت أخيرا من الاحتلال والاذلال ، فكرة الترابط الوثيق مع جلاذها الذى أخضع أخيرا ، شيئا لا يمكن تصوره ، ولكن انسياب الاخوة الأوروبية قد عاد تدريجيا الى شرايين فرنسا وعروقها ، وتغلب العقل الغالب الطبيعى أخيرا على مرارات الماضى .

وكنى ولا أزال أحترم الشعب الروسى الباسل كل الاحترام ، الا أن ظل هذا الشعب أناخ بكلكلة المدمر على مسرح ما بعد الحرب ، ولم تكن هناك حدود مرئية للضرر الذى يمكن لهذا الظل أن يحدثه ، ولما كانت بريطانيا وأمريكا ، بتصميمهما الكلى على الانتصار على دول المحور ، لم تضعما الشروط الكافية لتقرير مصير أوروبا المثلثة ومستقبلها ، فقد خضنا الحرب لا دفاعا عن استقلال البلاد الصغيرة فحسب ، بل لنعلن الحقوق للأفراد ولنضمنها أيضا ، كما نضمن الحريات التى تقوم عليها أسس الحياة الخلقية ، ولما كانت لروسيا السوفييتية أهداف أخرى تهتم بها ، فقد شددت قبضتها على الاراضى التى اجتاحتها جيوشها ، وأقامت حكومات ائتلافية فى جميع الدول القابعة وراء الستار الحديدى يشترك فيها الشيوعيون ، وكان الأمل يتركز فى امكان الاحتفاظ بالديموقراطية بأى شكل من الاشكال ، ولكن الشيوعيين أخذوا يضعون أيديهم على المراكز المهمة فى بلدة بعد أخرى ، ومن ثم شرعوا فى اضطهاد الاحزاب السياسية الأخرى ومضايقتها ، مطوحين بزعمائها الى حياة النفى والتشريد ، كما جرت محاكمات وأعمال تطهير ، وفى الحال سيطرت الشيوعية على رومانيا والمجر وبلغاريا .

وقد كافحت كفاح الجبابرة دفاعا عن بولندا فى مؤتمرى يالتة ويوتسدام ، وباء كفاحى بالفشل .

وقام الوزراء الشيوعيون بالقلاب مفاجئ فى تشيكوسلوفاكيا مما أثار يقظة الرأى العام العالمى ، وتحطمت الحرية فى داخل البلاد ، وحظر عليها التعامل بحرية مع الغرب .

كما يرجع الفضل الى بريطانيا على الغالب ، فى بقاء اليونان مستقلة بصورة غريبة بين هذه الدول ، فقد خاضت بمساعدة بريطانيا وأمريكا حربا أهلية طويلة ، ضد العصاة الشيوعيين ، وبعد كل تلك الجهود والآلام الطويلة التى فرضتها الحرب الكونية الثانية تبين أن أكثر من نصف أوروبا لم يفعل أكثر من استبدال طغيان بآخر .

وتبدو هذه النقاط اليوم شيئا عاديا مألوفاً ، وقد أصبح الكفاح الطويل وغير الفاشل الى حد ما ، لوقف تيار الاجتياح الروسى أو الاجتياح الموحى به من الروس جزءاً من أعمالنا اليومية وحياتنا ، وكان من الضرورى حقاً فى بعض الاحيان ، كما هى الحالة بالنسبة الى القضايا الصحيحة ، تخفيف الحماس والتنكر للانتهازية ، ولم يكن من السهل أبداً فى ذلك الوقت أن ينتقل الانسان بأفكاره من انتصار عظيم منهك على طغيان واحد ، الى توقع حملة مضنية وباهظة التكاليف ضد طغيان آخر .

وكانت منظمة الأمم المتحدة لا تزال فى طفولتها ، الا أنه اتضح منذ البداية ، أن العيوب الموجودة فيها قد تقيم الدليل على أنها من الخطورة الى الحد الذى يبطل الأهداف التى قامت من أجلها . على أى حال تبين أنها لا تستطيع أن تؤمن بسرعة وبصورة فعالة بتلك الوحدة ، وتلك القوى المسلحة التى تحتاج اليها أوروبا الحرة والولايات المتحدة للمحافظة على كيانهما ، وكنت قد اقترحت فى محاضرة فولتون أن تكون الأمم المتحدة مجهزة بقوة دولية مسلحة ، كما ألححت بالنسبة الى المستقبل الراهن وإلى المستقبل البعيد المدى على استمرار العلاقة الانجليزية - الأمريكية الخاصة ، التى كانت إحدى النظريات الأساسية التى كرس لها حياتى السياسية .

وهنا قلت فى الخطاب نفسه :

« فليس فى إمكان التثبت مع منع الحروب ، ولا فى إمكان النهوض المستمر لامنظمة العالمية أن يتحققا دون ما أسميته بالترابط الاخضرى للشعوب الناطقة بالانجليزية ، وهذا الترابط يعنى قيام علاقة خاصة بين جامعة الشعوب البريطانية وامبراطوريتها وبين الولايات المتحدة ، وفى وسع هذه العلاقة أن تحمل معها استمراراً للتسهيلات الراحنة المتخذة للسلامة المشتركة عن طريق استخدام القواعد البحرية والجوية فى البلدين بصورة متبادلة ومشتركة ، وفى جميع أنحاء العالم ، وبما أن الولايات المتحدة قد عقدت اتفاقاً دفاعياً دائماً مع الحكومة الكندية ، فمن الواجب أن يعقد مثل هذا الاتفاق مع جميع دول جماعة الشعوب البريطانية على أساس التبادل الكامل » .

وقد قدر للسنوات الثلاث التالية ، أن تشهد مشروعا اقتررب من تحقيق هذا الهدف وان لم يصل اليه تماما .

ولا أريد أن احتكر الفضل فى جميع هذه الامور ، ولعل من مزايا المعارضة ، ان الانسان الذى يكون فى خارج الحكم ، يستطيع أن يمضى

بخياله الى آفاق أوسع من تلك التي يمضي اليها أولئك الذين شاء لهم طالعهم أن ينقلوا المخططات الى حيز التنفيذ، فقد تمكنت الحكومة البريطانية بوحى من ذلك الانسان ذى القلب الكبير والحكمة البالغة المستر أرنست بيغن ، أن تتولى زمام القيادة فى إعادة بناء جزء من المجتمع الاوروبى، أو ما تبقى من أوروبا على الأقل ، وقد كانت الافكار الاولى منبعثة من الاخطار الناجمة عن احتمال بعث ألمانيا ، وقد وقعت بريطانيا وفرنسا فى عام ١٩٤٧ معاهدة دنكرك ، التى التزمتا فيها أن تساعد الواحدة منهما الاخرى فى حالة تعرضها لهجوم ألماني ، ٧١ أن حقائق الحاضر غير المطمئنة، أخذت تكشف مخاوف الماضى .

وبعد مضي أشهر طويلة من النشاط الدبلوماسى ، تم التوقيع على معاهدة بروكسل فى عام ١٩٤٨ ، وتعهدت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا وبلجيكا ولوكسمبرج ، بموجب هذه المعاهدة ، بأن تساعد بعضها بعضا فى حالة تعرض أى منهما لعدوان أيا كان مصدره ، ولم يذكر اسم ألمانيا فى هذه المعاهدة .

وقد تم انشاء منظمة عسكرية برياسة المارشال مونتجمرى ، لتقدير الموارد المدخرة للدفاع ، ولوضع خطة تتناول هذه الموارد ، وقد أسميت هذه المنظمة بالاتحاد الغربى ، وقد أيدت هذه الاجراءات ، وأعربت عن أمل بقوة ، فى أن تحمل الولايات المتحدة على نوع من الارتباط معها ، اذ بدون مساعدتها ، تكون المنظمة ناقصة الى حد مخيف .

وكنا سعداء فى أن يكون على رأس وزارة الخارجية الامريكية فى هذا الوقت الجنرال مارشال ، البعيد النظر والكثير الاخلاص ، الذى عملنا معه بروح الزمالة الوثيقة والثقة طوال سنوات الحرب ، وقد حاول الجنرال والرئيس ترومان ، ضمن الحدود التى يفرضها الكونجرس والرأى العام الامريكى ، أن يضيفا وزنا وأهمية للجهود التى كانت تبذل حين ذاك فى أوروبا ، وقد أثمرت الجهود المبذولة على جانبى الاطلنطى ، وتم التوقيع فى شهر أبريل عام ١٩٤٩ ، على معاهدة شمال الاطلنطى ، التى التزمت الولايات المتحدة بموجبها ، لأول مرة فى تاريخها ، مع مراعاة الحقوق الدستورية للكونجرس ، بمساعدة حلفائها اذا ما هوجموا ، وقد تضمنت الدول الاوروبية التى وقعت على المعاهدة بالاضافة الى دول معاهدة بروكسل ، كلا من النرويج والدانمارك وايسلندا وايطاليا والبرتغال ، كما وقعت كندا أيضا على المعاهدة مقدمة دليلا اضافيا جديدا على الثقة التى كنا نضعها - نحن فى بريطانيا - دائما فى صداقتها وولائها .

وكان العمل الذى تلا ذلك معقدا كل التعقيد ، وقد نجم عنه اقامة منظمة حلف الاطلنطى ، التى ترأسها هيئة تخطيط عسكرية ، يتولى قيادتها الجنرال أيزنهاور ، الذى جعل مقر قيادته فى فرساي ، ونشأ من الجهود التى بذلتها القيادة العليا لمنظمة حلف شمال الاطلنطى فى أوروبا ثقة هائلة وورصينة فى أن أى غزو قادم من الشرق ، سيلقى مقبعاومة لمعالة ومنتجة .

ومن الثابت ان حلف الاطلنطى قد حقق بوجوده فى البداية أكثر مما حقق بعمله ، فقد أعاد الى أوروبا الثقة ، ولا سيما البلاد الواقعة على مقربة من الاتحاد السوفييتى وتوابعه ، وقد سبب هذا الاثر انحساراً لحق بقوة الاحزاب الشيوعية فى البلاد المهتدة ، وفى بعث ظهر فى النشاط القومى الصحيح فى ألمانيا الغربية .

وقد ظلت قضية اشراك ألمانيا فى حلف الاطلنطى فى مقدمة الخطط الغربية ، ولكن كان من الصعب تبديد مخاوف فرنسا من إعادة بعث الجيش الألمانى .، وكان هذا الموضوع صالحا لاستخدام ذوى النوايا السيئة والمخدوعين ، فى آن واحد ، فقد غزا الألمان فرنسا ثلاث مرات فى بحر سيبين عاماً ، وكان من الصعب أن ينسى الفرنسيون « سيدان » و « حمام الدماء » فى فردان ، وانهيار عام ١٩٤٠ ، والاحتلال الطويل الأمد فى الحرب الكونية الثانية ، الذى حطم الكثير من الولاء وجعل الفرنسى يقاتل أخاه الفرنسى ، وأحسست فى بريطانيا بشعور العداء من أجل اعطاء أية أسلحة ، حتى ضمن حدود أقصى الضمانات والالتزامات الى الجمهورية الألمانية الجديدة .

ولما كان أى غزو سوفيتى لأوروبا الغربية لا يمكن صدّه دون معاونة الألمان ، وقد جربت خطط عدة وفشلت ، فقد تولى الفرنسيون زمام القيادة فى قيام ادماج أوسع لأوروبا الغربية فى القضايا المدنية ، كما تبينوا مشروعا لقيام جيشن أوروبى بى موحّد ، تدخل فيه الوحدات الألمانية دون أى تهديد لحيرونها ، ولم أهتم بهذه الفكرة ، فمن الصعب أن تجعل مزيجاً غربياً يضم جنوداً من نحو ستة شعوب ، يحمل الولاء نفسه ، ويتبادل مشاعر الثقة التى هى ضرورية بين الزملاء فى المعركة ، وبذلك لم يتحقق اسهام ألمانيا المباشر ، عن طريق جيشها القومى فى قوة الغرب ، الا بعد مضي عدة سنوات ، ومع ذلك فلم ينفذ من المشروع الجديد حتى الآن ، الا القليل ، أما أنا فكنت لا أرى ضيراً الى التعاون مع عدوى عند ما تنتهى الحرب ، بكل ما ينطوى عليه هذا التعاون من تعاون ضد خطر خارجى .

وقد واصلت الولايات المتحدة ، جنباً الى جنب مع هذه التطورات التى كان القسم الأكبر منها لا يزال على الورق ، اظهار تصميمها على مساعدة أوروبا ، ومساعدة نفسها عن هذا الطريق ، فقبل توقيع حلف الاطلنطى بزمان طويل ، كانت الطائرات الأمريكية ترابط فى شرقى انجلترا بأعداد كبيرة ، وكانت هذه القوات كايحاً عملياً رادعاً ، ولكن مع الاسف ، فإن الجهاز الرافع لهيئة أركان الحرب البريطانية والأمريكية المشتركة ، التى كانت بانية التخطيط الذى قادنا الى الفصرة ، حل بناء على اقتراح أمريكى ، ولم يكن فى وسع أى جهاز آخر أن يضاهيه روعة وقوة ، كما أنه لا يمكن لاحسن الترتيبات التى أعدها حلف الاطلنطى ، الا أن تعتبر طلائعاً ، لتلك المنظمة الأخوية والقوية التى كانت قائمة وموجودة .

وقد جاءت التجربة العنصرية فى شهر ايلول عام ١٩٤٨ عند تقاطع الروس ببرلين عن العالم الخارجى ، وكانت غايتهم ادخال برلين كلها فى الدولة الشيوعية التى أقاموها فى شرقى ألمانيا ، وبدأ أن على بريطانيا

وفرنسا وأمريكا أما أن تتخلى عن المدينة أو تبغث بقوافل التهموين إليها من ألمانيا الغربية بطريق القوة ، وهو حق مشروع لها ، وقد عثر على حل لتحسين الحظ ، أمكن عن طريقه تجنب الكثير من الأخطار ، فقد بدأ الجسر الجوي في العمل ، وحتى أوائل فبراير عام ١٩٤٩ ، كان قد نقل أكثر من مليون طن من المؤن إلى برلين بواسطة الطائرات الأمريكية والبريطانية طوال مدة الحصار وهي ثمانية شهور ، وقد اضطر الروس إلى الإذعان في الوقت المناسب ، وتخلوا عن الحصار الذي فرضوه .

وكانت المساعدة الاقتصادية للخلفاء أمرا حيويا ، فنهجن في بريطانيا أنفقنا أموالا ضخمة في الحرب ، بحيث أننا مهما اقتصدنا فسنظل نعاني ضائقة شديدة ، وعلى الرغم من القرض الأمريكي الضخم ، فإن الوضع كان يتجه عندنا نحو الخطورة ، كما كانت بقية أجزاء أوروبا تعاني الحالة نفسها على درجات متفاوتة ، ولولا مشروع العون الاقتصادي الذي وضعه الجنرال مارشال والتعاون المتبادل مع ست عشرة دولة أوروبية أخرى ، فإن أوروبا كانت ستنهيار حتما إلى حالة من الجراب والفقر ، تنمو فيها جنور الشيوعية بسرعة هائلة .

وكان هناك رأى آخر لآمالنا المتعلقة بتوحيد أوروبا وتقويتها لمواجهة أي عدوان خارجي ، أو هدم داخلي ، فالأفكار التي استهلكت بها خطابي في فولتون ، قد ترجمت إلى حد كبير إلى أفعال وحقائق عن طريق الجهود الحكومية ، وسلسلة المعاهدات والمنظمات الرسمية التي شرحتها بإيجاز ، وكان من المهم جدا بالنسبة للمفاهيم البعيدة المدى ، عن فكرة أوروبا المتحدة التي جعلناها مثلنا الأعلى النهائي ، أن تجد لها ندوة تناقش فيها وتدرس ، وكان يوجد عدد كبير من أبرز السياسات الأوروبيين وقادة الفكر يحملون الآراء نفسها ، وقد شرعنا في عام ١٩٤٧ في « الحركة الأوروبية » التي تستهدف الدعوة إلى وحدة أوروبا ، وبخث الوسائل التي تؤدي إلى تنفيذها عمليا ، ولكن بصورة تدريجية ، لأن من الخطأ في المشروعات الضخمة ، أن يحاول المرء تنفيذ كل شيء فورا ، كما أنه من الصعب في قضايا من هذا الطراز أن يحاول المرء التخطيط وكأنه في عملية عسكرية ، وكانت مهمتنا إقامة اتصالات وشائج أدبية وثقافية وأخلاقية واجتماعية في جميع أنحاء العالم .

وقد قويت شوكة « الحركة الأوروبية » واشتد نشاطها ، وأدت دورا بارزا في التفكير الحكومي ، وقد أشار الجنرال مارشال ، إلى أن هذه الفكرة كانت من جملة الأسباب التي حملته على وضع مشروعه لمساعدة أوروبا اقتصاديا ، واثمرت المناقشات المتعددة التي جرت عن خلق المجلس الأوروبي في عام ١٩٤٩ ، متخذة مدينة ستيراسبورج مركزا له ، وتم في هذه المدينة إنجاز الكثير من الأعمال النافعة مع اختلاف الخطوط وظلال الدعايات .

هذا وقد اجتلت القنبلة الذرية ، وطلعت القنبلة الهيدروجينية ، وهما آخر ما امتلكه الإنسان من الأسلحة المدمرة الشاملة للبشرية ، المكانة المثالفة ، في جميع أفكارنا المتعلقة بشئون الدفاع ، وكنا نبت بريطانيا والولايات المتحدة ، قد اتفقتا على فطاع الحرب الماضية ، على تجميع معلوماتهما وتجاوزتهما في البحث النووي ، وقدما بلائمن ، ثمار تسعينات من

الاكتشافات والتجارب التي توصل اليها الرواد من علماء الطبيعة الانجليزية في هذا الميدان ، كإسهام منا لمشروع السرى الضخم المشترك ، الذي شرع في تنفيذه في الولايات المتحدة وكندا ، وكان في وضع هؤلاء الذين خلقوا هذه الاسلحة ، ان يسيطروا على العالم ويستعينوه ، كما كان يفعل غيرهم ، من ذوي الايدي المشكوك في صدقها ، ولكنهم اثبتوا جدارتهم بمسئولياتهم ، الا ان الاسرار تسربت على اى حال الى الاتحاد السوفييتي ، فساعدت العلماء الروس الى حد كبير في ابحاثهم ، وانعكست بعد ذلك جميع النظريات المقبولة عن الاستراتيجية العسكرية ، وخلق نظام جديد لم تكن نحكم به من توازن القوى ، يقوم على اساس حيازة وسائل الابادة المتبادلة .

وقد شعرت في نهاية الحرب العظمى بالرضا عن نفسي ، لاني توصلت مع الرئيس روزفلت في كوبيك في عام ١٩٤٣ الى احسن اتفاق في هذا الصدد ، وقد نص على التاكيد بان بريطانيا وامريكا لن تستخدماه هذه الاسلحة ضد بعضهما البعض ، كما انهما لن تستخدماه ضد فريق ثالث الا بعد الاتفاق المشترك بينهما ، والا تقوما بنقل أية معلومات تتعلق بالموضوع الى فريق آخر الا بعد موافقة مشتركة من الدولتين المتعاقبتين .

الا ان الكونجرس الامريكي اصدر في عام ١٩٤٦ قانونا يحظر بموجبه نقل أية معلومات من الحكومة الامريكية الى أية دولة أخرى ، وكان الشيخ مكماهون الذي تبنى مشروع القانون لا يعرف شيئا في هذا الوقت عن اتفاق كوبيك ، وقد ابلغني في عام ١٩٥٢ ، انه لو كان يعلم بوجود هذا الاتفاق لما صدر قانون مكماهون ، وقد وجهت الحكومة البريطانية الاشتراكية (العمالية) احتجاجا في هذا الصدد ، كما انها لم تكشف عن اتفاقية كوبيك والافضاء بوجودها ، الى لجنة مكماهون على الاقل ، ولوفعلت ذلك لبررت موقفنا ، ولوفرنا علينا سنوات طويلة من البحث المضني والباهظ التكاليف ومن التطوير ايضا ، وهكذا حرمت بريطانيا حصتها في المعلومات التي كان لها حق مؤكد فيها ، وبذلك فاننا لم نتمكن من تفجير قنبلتنا الذرية الا في عام ١٩٥٢ .

وهكذا فان الاناس المضمون لآمالنا في السلام يرتكز على هذه الناحية ، أي على حيازة أمريكا وتفوقها في الاسلحة النووية ، ولا تعتبر جيوش الدول الغربية شيئا مهما ، اذا ما قورنت بالعدد الذي لا يحصى من الفرق التي تستطيع روسيا نشرها من البلطيق الى حدود يوغوسلافيا ولكن المعرفة الاكيدة بان الزحف الذي سيؤدي الى اطلاق القوة الجوية المدمرة من عقالها ، هي الكابح الزاجر .

وعندما كانت الولايات المتحدة هي المالكة الوحيدة والفعالة للاسلحة الذرية ، كانت هناك فرصة للوصول الى تسوية عامة ودائمة مع الاتحاد السوفييتي ، ولكن ليس من طبيعة الدول الديمقراطية ان تستخدم ما تتمتع به من مزايا وتفوق في التهديد وفي اتباع أساليب الديكتاتورية ، ولا ريب في ان الحالة الفكرية التي كانت مسيطرة حين ذاك ، ما كانت لتسمح بأي نوع من خشونة القول مع حليفها السابقة ، مع انه كان في وسع هلم

العشوائية لو استعملت ، أن توقف الكثير من التطورات غير اللائقة التي وقعت ، ولكن الولايات المتحدة آثرت بتأييدنا طبعاً ، أن تقف موقفاً أكثر تعقلاً بالنسبة لمشكلات الاشراف على استخدام الاسلحة النووية وبخاصة بمعارضة لوسائل المراقبة الفعالة فأخبطت كل شيء .

وقد أدت هذه التطورات الى تبديل كل ناحية من نواحي التخطيط العسكري والسياسي ، وأصبحت القواعد الضخمة اللازمة لتموين الجيوش في الحربين الكبيرتين الماضيتين أكثر الاهداف تعرضاً للدمار ، وفي وسع قذيفة واحدة ، تلقي بها طائرة واحدة ، أن تدمر جميع المخابيل والمخازن في قاعدة قناة السويس ، التي كانت المصدر الرئيسي لتموين الجيش الثامن في الصحراء بالمعدات والذخائر ، وفي وسع الموانئ مهما حمتها المدافع المضادة للطائرات والطائرات المحاربة ، أن تصبح مقبرة الاساطيل التي كانت تتولى في الماضي حمايتها ، كما كان إجلاء المدنيين وغير المحاربين من المدن اقتراحاً معقولاً حتى في أيام تطور الاساليب الجديدة في القصف الجوي في الحرب الاخيرة ، أما اليوم ، فعلى الرغم من الرغبة في مثل هذا الاجلاء ، فإن وسائله لا تعدو أن تكون شيئاً مخففاً من أهوال كوارث الحرب النووية المدمرة المهلكة ، كما قد تحتم تبديل جميع الترتيبات الدفاعية لمواجهة الوضع الجديد ، وما زالت الاسلحة التقليدية ضرورية للمحافظة على النظام في ممتلكاتنا ، ولحوض ما يسميه الناس بالحروب الصغيرة ، ولكننا لا نستطيع انتاج القدر الكافي منها ، لان انتاج الاسلحة النووية ووسائل توجيهها والتصرف فيها ، باهظة التكاليف للغاية بحيث تستنزف كل مخصصاتنا .

وظلت الآمال في قيام اتصالات أكثر ودا مع روسيا ، تسيطر على فكرى دائماً ، وبدأ لي أن الفرصة قد توافرت بوفاء ستالين الفجائية في مارس عام ١٩٥٣ ، وكنت قد أصبحت رئيساً للوزارة ثانية ، وقد اعتبرت موت ستالين نقطة فاصلة في تاريخ روسيا ، فقد سبب طغيانه الكثير من الآلام لبلاده ، ولأماكن أخرى في العالم ، وكانت الشعوب الروسية في نضالها ضد هتلر ، قد بنت لنفسها الكثير من حسن النية في الغرب ، وفي الولايات المتحدة قبل غيرها من دوله ، ولم يكن في وسع أي انسان ان يتكهن بالنسبة الى سياسات الكرملين الغامضة بمن سيخلف ستالين ، وعلينا الان نقسو في الحكم على قادة روسيا ، فقد غزت أوروبا بلادهم ثلاث مرات في نحو من قرن ، وليس في وسعهم أن ينسوا بسهولة ، بورودينو وقانبرج وستالينجراد ، كما انهم لازالوا يذكرون المذابح التي قام بها نابليون في بلادهم ، ولا يمكنهم ان يغفروا لألمانيا القيصيرية أو النازية ظالمها ، ولكن السلامة لا تتحقق عن طريق العزلة ، ولم يحاول ستالين ان يعزك الجمهوريات السوفييتية وحدها وراء ستار حديدي عسكري وسياسي وثقافي ، بل حاول أيضاً ان يقيم له خطاً عميقاً من المراكز الامامية في الدول الحليفة ، ليحكم فيه بشبهة من موسكو ، بعد أن أخضع هذه الدول لاحتياجات الاتحاد السوفييتي الاقتصادية ، وامتد كل اتصال لها بالعالم الحر ، وحتى ينفضها البعض ، ولكن لا ريب أن جميع المفكرين يزنون في

بعض المظاهر الموحية بالأمل ، شيئا من الجلاء في الأوضاع الراهنة ،
بالعقيدة الشيوعية أخذة في الانقصاب تدريجيا عن الآلة العسكرية
الروسية ، وبتواصل الشعوب ثورتها على الامبراطورية الاستعمارية
السوفييتية لا لشيوعيتها ، بل لأنها غريبة عنها ، ولأنها طاغية ومستبدة ،
ولن يؤدي ميثاق التسليح حتى في الأسلحة النووية والصواريخ الموجهة
إلى إيجاد الطمأنينة أو صفاء الذهن للدول الكبرى التي تسيطر على
المساحات الشاسعة من الأرض في آسيا أو شمال أمريكا ، أو إلى البلاد
التي تقع بينها ، واننى لا أوجه نداء لنزع السلاح ، فهذه نتيجة طغيانية
ومظهر للتجاوب للحرب بين الشعوب ، انه العقل الذى يسيطر على السلاح ،
واننى ارى أن تتحدث الشعوب الحرة إلى عقول شعوب روسيا وشريكاتها .

وقد بدا لى ان جوا أهدأ قد يسيطر بعد وفاة ستالين وبهذه الصورة
عرضت بعض أفكارى على مجلس العموم فى الحادى عشر من مايو عام
١٩٥٣ ، واقترحت عقد مؤتمر غير رسمى بين رؤساء الدول الكبرى ، فقد
ينجح من حيث فشلت الاتصالات الحادة المتكررة ، وأوضحت أن مثل هذا
الاحتمال يجب الا يصبح استرخاء فى علاقات الأمم الحرة واستعداداتها
أذ ان أى اضعاف لجهودنا الدفاعية ، سيثقل أى اتجاه نافع للسلام ، ولم
يتحقق تماما ما استهدفته وبحثت عنه .

ولا أقصد مطلقا ان أنحى باللائحة على أية جهة من الجهات بالنسبة
إلى الأمور المزعجة التى وقعت منذ عام ١٩٤٥ ، ولا ريب ان أولئك الذين
كانوا مسئولين عن الحكم فى بريطانيا فى السنوات التى تلت الحرب ، قد
اضطربوا امام المشكلات المعقدة التى واجهوها فى الداخل والخارج ، وكانت
الأساليب التى اختاروا اتباعها لحل هذه المشكلات ، مفروضة عليهم ،
أما من الظروف التى أوجدتها ، أو من السياسات العقائدية المقررة سلفا ،
ولم تكن نتائجها دائما نافعة لبريطانيا أو للعالم الحر .

وكان موضوع منح الاستقلال لشبه القارة الهندية ، يحتل واجهة
التفكير السياسى البريطانى ، وكنت قد أسهمت فى هذا الموضوع فى
السنوات الواقعة بين الحربين ، وكنت قد حاربت استقلال الهند فى مراحلها
الأولى بكل ما لدى من قوة ، يؤيدنى فى ذلك نحو سبعين نائبا من المحافظين ،
وعند ما أصبحت رئيسا للوزارة الائتلافية ، اقتنعت بتعديل آرائى
السابقة فى هذا الصدد ، ولا ريب لى أننا خرجنا من الكفاح العالمى وقد
التزمنا بإعطاء مركز «الدومنيون» إلى الهند ، مع إعطائها الحق فى الانفصال
عن جامعة الشعوب البريطانية اذا رغبت فى ذلك ، وفكرت فى ان الطريقة
التي ستتبع فى إقامة الحكومة الجديدة ، يجب أن تضمن للأغلبية الكبرى
من الشعب الهندى ، القدرة والحق فى اختيار ما تريده لنفسها بصورة
حرة ، واعتقدت ان عقد مؤتمر دستورى تمثل فيه جميع العناصر القوية فى
الهند ، سيدلنا على الطريق لخراج الهند التى تحكم نفسها بطريقة تمثيلية
حرة ، وتتعلق بالامبراطورية البريطانية ، ومن الواجب ان تكون فى
المشروع الجديد حصة لضمان مصالح «المنبوذين» والراجات والموالين الذين
يعتمدون بمئات الملايين ، وغيرهم من الفئات الأخرى المهمة .

وعلىنا أن نتذكر أن السنة الأخيرة من الحرب ، قد شهدت نورة قام بها المتطرفون من رجال حزب المؤتمر الهندي ، وقد أخلت دون ضعوبة وبأقل ما يمكن من خسارة في الأرواح ، وكان الحزب الاشتراكي البريطاني ، يرى رأيا مخالفا لوجهة نظري ، فهو يؤمن بأن الفائدة الكبرى تقوم في منح الحكم الذاتي في أسرع وقت ممكن ، ولم يتردد في منح هذا الحكم وتسليمه الى تلك الفئات التي كنا قد أخضعناها بسهولة ، ولم يمر عامان على انتهاء الحرب ، حتى كان الهنود قد حققوا هدفهم ، ففي الثامن عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٧ . أعلنت بريطانيا استقلال الهند ، وقشلت جميع الجهود في الحفاظ على الوحدة الهندية ، وأصبحت باكستان دولة مستقلة . وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها لجنة تخطيط الحدود ، فقد جاءت الحدود بين الدولتين الجديدتين مجحفة بصورة مخربة للمناطق التي تمر بها ، ونجم عن ذلك سلسلة من المذابح ، التي نتجت عن عمليات التبادل بين المسلمين والهندوس ، التي تناولت أربعمائة أو خمسمائة ألف من الرجال والنساء والأطفال في كل منطقة من المناطق .

وكان هناك على رأس أكبر هاتين الدولتين الجديدتين اللتين قامتتا على أسس من الدماء المسفوقة ، لحسن الحظ ، رجل يتمتع بمواهب ومزايا لا مثيل لها ، انه نهرو ، وكان هذا الرجل قد قضى سنوات طويلة في السجن ، وقد ظهر الآن كزعيم « أقلية ضئيلة من أعداء الحكم البريطاني » ، متحرر الى حد كبير من خطيئتين من أكبر خطايا الطبيعة البشرية ، وهما الكراهية والخوف ، هذا وقد اغتال أحد المتعصبين غاندي ، الذي تولى مدة طويلة قيادة الحركة الاستقلالية الهندية ، بعد أمد قصير من تولى نهرو رئاسة الحكومة الهندية ، كما رأس جناح الدولة الإسلامية بباكستان ، وأصبح لنا علاقات طيبة بالجمهوريتين اللتين ظهرتتا الى حيز الوجود ، ويحضر قادتتهما اجتماعات جامعة الشعوب البريطانية ، ولهم شأن يذكر في طريق الخير والشر في آسيا وفي العالم .

كما انفصلت بورما أيضا في السنة نفسها التي استقلت فيها ، الهند ، عن جامعة الشعوب البريطانية ، وكانت هذه البلاد المسرح الرئيسي للعمليات البرية التي جرت في الشرق الأقصى ، وكنا قد بذلنا مجهودا رئيسيا في استعادتها من اليابانيين الذين كانوا قد أخرجونا منها في عام ١٩٤٣ ، وتعاونت العناصر الوطنية مع الغزاة اليابانيين لتحقيق أهدافهم الاستقلالية ، وبذلك تولت الحكم ، ولم تكن سيطرتهم كاملة على البلاد ، وحتى يومنا هذا فإن قانون الحكومة البورمية لا يسرى على جميع أنحاء البلاد .

ولم يكن الصراع بين الشيوعية والعالم الحر ، في كل من الهند وبورما ، كبير الأهمية في السنوات التي تلت الحرب مباشرة ، ولا ريب في أن روسيا قد طربت لكل دليل على تضاؤل نفوذنا في العالم ، وحاولت بكل الوسائل الموجودة تحت تصرفها أن تستغل قيام هذه الدول الجديدة ، ولكن روسيا انزلت أكبر الآثار السيئة في الهند الصينية والملايو ، وإن كان اهتمامها الرئيسي ظل متمركزا في الصين ، حيث أخذ يظهر نظام جديد وسط المذابح والفوضى ، وكان نظام تشيانج كاي شك ، صديقنا

وحليفنا في الحرب : قد أخذ يفقد سيطرته بصورة تدريجية ، وحاولت الولايات المتحدة بكل وسيلة ، ألا التدخل العسكري ، إيقاف الزحف الشيوعي ، ولكن الحكومة الصينية كانت تحمل معها بذور دمارها وانهيارها ، حيث استشرى الفساد في جهازها مما شجع على تقدم الجيوش الشيوعية وساعدها ، وفي نهاية عام ١٩٤٩ كان كل شيء قد انتهى ، وسيطرت حكومة الشعب كما أسمت نفسها ، على بكين ، وعلى البر الصيني بأكمله ، وفر تشيانج كاي شيك الى فرموزا ، حيث ضمن الأسطول والسلاح الجوي الأمريكي له الاستقلال ، وهكذا انتقلت أكثر بلاد العالم سكانا الى أيدي الشيوعيين ، ولا ريب في أنها ستصبح قوة فعالة في الشئون العالمية ، وفي هذه الفترة برز نفوذ الصين في كل من كوريا والهند الصينية ، وكانت العقبات التي قامت في طريق قبول الصين في الأمم المتحدة من أبرز المظاهر في ضعف هذه المنظمة ، كما توقفت الصداقة التقليدية القائمة بين الصين وأمريكا .

وتجلبت في السنة التالية المحاولات الشيوعية المضايقة للغرب ، واستغلال الشعور الوطني في آسيا ، ومحاولة السيطرة على الأماكن المكشوفة في شبه جزيرة كوريا ، ففي الهند الصينية على الرغم من أن الخصم الكبير للفرنسيين هوشي مينة ، كان منزويا في موسكو ، إلا أن العون المادي الذي تلقتة العصابات لم يكن على نطاق كبير ، كما أرغم عدد ضئيل نسبيا من الإرهابيين في الملايو عن طريق قتل المزارعين البريطانيين والموالين من الصينيين والماليزيين أرغموا قوات بريطانية كبيرة على البقاء لإعادة فرض النظام .

وكنا أنا والرئيس روزفلت وتشيانج كاي شيك ، قد سجلنا في عام ١٩٤٣ تصنيفنا على أن تكون كوريا مستقلة ، وكانت قد تحررت في نهاية الحرب من اليابانيين ، واحتل الأمريكيون الأقسام الجنوبية منها ، بينما احتل الروس أقسامها الشمالية ، وأقيمت دولتان كوريتان ، وأخلت العلاقات بينهما تتأزم وتحتد ، وغدتا أشبه ما تكونان بالدولتين الألمانييتين الشرقية والغربية ، وأحبطت المعارضة السوفييتية كل محاولة قامت بها الأمم المتحدة لإعادة توحيد البلاد ، وأخذ التوتر وحوادث الحدود يتجهان الى الازدياد ، وشرع الكوريون الشماليون في الخامس والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٥٠ ، في غزو كوريا الجنوبية ، وأخذوا يتقدمون بسرعة ، فطلبت الأمم المتحدة من الغزاة أن يتوقفوا وينسحبوا ، ولعب الحظ السعيد دورا بارزا في وقف « الفيتو » السوفييتي عن منع تنفيذ قرار مجلس الأمن ونواياه ، « اذ تغيب الاتحاد السوفييتي عن الجلسة لانه قاطعها » ولكن أخطاء نظام الأمم المتحدة طالت عرضة للاستغلال مرة بعد أخرى في السنوات التالية ، وهيئات الأمم المتحدة في هذه المناسبة الاطار الذي قامت فيه الولايات المتحدة بالعمل الفعّال ، وأحاطت هذه الحقائق العارية بقرار تاريخي وخطير اتخذته الرئيس ترومان ، اذ لم تمض فترة قصيرة جدا على انتشار أنباء الغزو ، حتى كان الرئيس قد توصل الى الاستنتاج بأن التدخل العسكري الفوري للولايات المتحدة ، هو السبيل الوحيد لانقاذ الوضع ، وكانت القوات الأمريكية هي أقرب القوى

من مسرح الاعتداء وأكثرها عددا ، ولكن هذا لم يكن كل شيء ، فقد كتب في مذكراته يقول :

« وتأكلت من أننا إذا سمحنا لكوريا الجنوبية في السقوط ، فإن سقوطها سيشتجع الزعماء الشيوعيين على أن يطنوا بأقدامهم دولا أخرى أقرب الى شواطئنا ، وإذا سمحنا لمثل هذا التطور بأن يقع دون تحد من جانبنا فإنه سيعنى الحرب العالمية الثالثة » .

ولا ريب في أن حزمه وحكمته وجراته في هذه الأزمة ، جعلتني أضعه في مصاف أعظم الرجال الذين تولوا الرئاسة في الولايات المتحدة .

وقد تبنت الحكومة البريطانية القضية الأمريكية ، وعرضت على أمريكا تقديم الوحدات البحرية ولم يأت شهر ديسمبر حتي كانت القوات البرية البريطانية أيضا على أرض كوريا ، كما أيدت المعارضة في الخامس من شهر يوليو في مجلس العموم المستتر آتلي رئيس الوزراء ، وقلت بوصفي زعيما للمعارضة في تلك الجلسة ، « انني أشعر بقدرتي على مشاطرته الرأي ، في أن النتيجة الواسعة التي توصل اليها ، من أن العمل الذي قامت به الولايات المتحدة ، هو خير طريق للحفاظ على السلام العالمي » .

أما الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي ، فتطبيقا منه لتقاليدته ظل في منأى ، عن العمل الحكيم الباسل الذي كنا نقرره حين ذاك .

وكان سير الحرب شاقا ومخيبا للأمال ، وباهظ التكاليف في السماء التي سفكت ، حتى تمكنت قوات الحلفاء من وقف الغزاة الشماليين ، وأخذ تدخل القوات الجوية يؤتي ثمارا فعالة ، ونفذ الجنرال ماك آرثر المهمة بحماس وجراءة ، حيث استعادت قوات الحلفاء سيول في اليوم الرابع عشر من مارس عام ١٩٥١ ، ووصلت بعد شهرين الى خط العرض الثامن والثلاثين واجتازته ، وفي هذه الأثناء تدفقت قوات المتطوعين الصينيين ، كما بدأت النجديات تتدفق على نهر بالو ، في شكل جيوش كبيرة العدد وان كانت فقيرة العتاد ، ورأى القادة العسكريون الأمريكيون أن من الصعب عليهم أن يقبلوا وجود هذا « الملجأ الممتاز » ، وراء حدود منشوريا ، وكانت هناك أيضا قواعد الطائرات السوفيتية النفثة التي كانت تتدخل بصورة مستمرة في القتال ، وعندما اشتد الضغط للسماح بمهاجمة الأراضي الصينية من الجو عارض الرئيس ترومان هذا الضغط بشدة لأن هذه الخطوة كانت متناهية في الخطورة ، وقال :

« ان الحمر يقومون بسبر اغوار الضغط في اسلحتنا ، وعلينا أن نواجه اندفاعهم بدورنا مع شعور متزايد من القلق ، وقلت لمجلس العموم في اليوم الثلاثين من شهر يناير « ان قضية العالم مستقر في أوروبا ، فهناك يكمن الخطر الأكبر » ، وامتنعت عن الادلاء بأرائي مخافة أن يعتبر ذلك بمثابة انتقادات موجهة الى القادة العسكريين الأمريكيين ، مما قد يعرقل جهودهم ، أو يضعف الارتباطات التي توثق مصائرنا ، وقد أسهمت القوات البريطانية وقوات جامعة الشعوب اسهاما ضخيقا وان كان فعالا في

القتال ، ولكن أمريكا احتملت العبء كله تقريباً ، ودفعته الثمن بمائة ألف من زهرة شبابها .

ولكن أطيل الحديث عن ميزان الانتصار والفشل في كوريا ، ولا يمكن بأي حال أن نحسب النتيجة مرضية ، لكن جنوبي كوريا ظل مستقلاً وحرًا على كل حال ، ومنى المعتدون بنكسة بالغة التكاليف والثمن ، وأهم من ذلك كله أن الولايات المتحدة أظهرت أنها لا تخشى استخدام القوة المسلحة ، دفاعاً عن الحرية ، حتى في أماكن نائية ككوريا .

وقد أخذت الإمبراطوريات الغربية تنهار في أماكن أخرى من القارة الآسيوية ، كما أرغم حلفاؤنا الهولنديون على الخروج من جزر الهند الشرقية ، التي كانوا قد جعلوا منها نموذجاً في الإدارة الفعالة ، كما تحمل الفرنسيون سنوات طويلة من خيبة الأمل ومن الحروب الموهنة المضنية في الهند الصينية ، حتى تجاوزت الإصابات بين الضباط في كل عام عدد من تخرجهم كلية سان سير من الضباط الجدد ، وتمكنت الجيوش الشيوعية التي تعززت بقوة من النجدة الصينية ، من إحراز السيطرة التدريجية على شمالي البلاد ، وعلى الرغم من قصص المقاومة البطولية ، اضطر الفرنسيون إلى الجلاء عن هذه المنطقة العظيمة المأهولة بالسكان ، وبعد مفاوضات طويلة وشاقة ، أمكن انقاذ شيء ما من حطام الآمال المهتمة ، فقد ظهرت ثلاث دول جديدة إلى حيز الوجود ، وهي فيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا ، وتؤكد استقلالها ، وإن كان استقلالها لم يتضح تماماً ، أما فيتنام الشمالية ، فقد أقامت لها حكومة شيوعية منفصلة شأنها في ذلك شأن كوريا الشمالية ، وهكذا كان التقسيم من جديد ، هو الحل للصراع بين المصالح الشيوعية والغربية ، وظلت الخلافات الداخلية تمزق هذه الدول الجديدة ، التي تهددها جارتها الجبارة إلى الشمال .

وكانت التبديلات التي وقعت في آسيا ، شيئاً لا يقاس بحساب ، ومن المحتمل أن تكون هذه التبديلات محتومة لا مناص منها ، وإذا كان القارئ يجد في هذا العرض القصير لمحة من الأسف ، فعليه ألا يفترض أنه ناجم عن العداء لحق الشعوب الآسيوية في تقرير مصيرها ، لكن الوسائل التي أتبعنا في الوصول إلى الوضع الراهن ، تستدعي قليلاً من التفكير والتأمل ، فهل كان من الضروري ، أن يسلك هذا القدر الكبير من الدماء ؟ أو لم يكن في الامكان الوصول عن طريق التطور إلى النتيجة السعيدة نفسها مع مزيد من الثبات والاستقرار ، بدلاً من الارتجال الذي دفع به الضغط الأجنبي ، والذي بسببه ضاع نفوذنا بسبب الهزائم السابقة التي منينا بها في حرب الشرق الأقصى .

لقد دار شطر كبير من الحرب العالمية الثانية للدفاع عن الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا ، والحفاظ على تمويننا من الزيت ، وحماية قناة السويس ، وكانت دول الشرق الأوسط ، ولا سيما مصر ، قد تمتعت بمزية الحماية التي أضفيها عليها من الغزو الألماني واليطالي ، دون أن تكلف نفسها عناء الاشتراك في الدفاع عن نفسها ، وقد أعقبت

الحرب زيادة جديدة في عدد الدول المستقلة التي نابتت نوجد ضمن الممتلكات السابقة للإمبراطورية العثمانية ، وكان خروج الفرنسيين من سورية ولبنان مؤلماً لهم ، ولكنه كان محتوماً ، وليس في وسع أي إنسان أن يزعم أننا حصلنا لأنفسنا على أي قدر من الفوائد هناك ، بعد شهيد العالم في هذه المنطقة. اندفاعاً في الإحسان الوطني ، فإن من المفيد لنتائجنا أن نسير سيرها فيما بعد ، فالشعوب الإسلامية من أندونيسيا حتى مراکش في حالة عليان واضطراب ، وادى تصميمها إلى مواجهته الدول الغربية ولا سيما تلك التي تتحمل مسئوليات وراء البحار ، إلى مشكلات ذات صعوبة خاصة ، وفي وسع هذه الشعوب ، وسط الهتافات الصاخبة للاستقلال والحكم الذاتي ، أن تنسى المنافع الكثيرة والمهمة التي أضفها عليها الحكم الغربي ، ومن الصعب أيضاً الاستعاضة عن النظام الذي طبقته الدول الاستعمارية في هذه المناطق الشاسعة ، بأنظمة جديدة ومستقرة من الحكم السيادي .

وكانت مشكلة فلسطين من أعقد المشكلات التي واجهتها بريطانيا في هذه الأجزاء ، ولقد كنت منذ صدور وعد بلفور في عام ١٩١٧ ، من أخلص أنصار القضية الصهيونية ومؤيديها ، ولم أشعر قط أن البلاد العربية قد جنت منا إلا العدل في معاملتها ، فالعرب مدينون لبريطانيا ولبريطانيا وحدها في وجودهم كدول ، فنحن خلقنا هذه الدول ، فلقد دفعت الأموال البريطانية والمستشارون البريطانيون بها سريعا في طريق التقدم ، وكانت الأسلحة البريطانية هي التي تتولى حمايتهم ، وكان لنا ، وما زال كما أمل ، عدد من الأصدقاء الأوفياء والشجعان في المنطقة ، وكان الملك عبد الله حاكماً في منتهى الحكمة ، وأدى اغتياله إلى زوال الفرصة في تسوية سلمية للمشكلة الفلسطينية ، وكان الملك ابن السعود حليفاً قوياً ، وكنت أتابع في العراق باعجاب سلوك نوري السعيد الشجاع والحكيم ، إذ كان يخدم باخلاص ملكه ، ويقود بلاده في طريق الحكمة ، دون أن يتأثر بالتهديدات الخارجية ، أو بالضجيج المتأثر من الخارج في الوطن ، ومن سوء الحظ أن هؤلاء الرجال كانوا من الشواذ (١) .

وواجهت الحكومة البريطانية كدولة منتدبة ، المشكلة الشاقة من الجمع بين هجرة اليهود إلى « وطنهم القومي » ، وحماية حقوق السكان العرب ، ولا يستطيع إلا القليلون منا لوم اليهود على آرائهم العنيفة المتطرفة في هذا الموضوع ، وليس في مكنة شعب عاني خطر الإبادة الكلية لوجوده القومي ، أن يكون عاقلاً ومنطقياً كلياً ، ولكن أعمال الإرهابيين اليهود الذين حاولوا تحقيق أهدافهم عن طريق اغتيال الموظفين البريطانيين والجنود ، كانت مظهرًا غريباً من مظاهر نكران الجميل ، ترك أثراً عميقاً في النفوس ، وليس هناك من بلاد في العالم أقل صلاحاً لمقارعة الإرهاب . من بريطانيا العظمى ، ولا يعود هذا إلى الضعف أو الجبن ، وإنما إلى ضبط النفس والفضائل ، وإلى طريقة الحياة التي عشناها في جزيرتنا التي

(١) يدل هذا الرأي على وجهة نظر الاستعمار وارتقاء حكومات هذه الدول في أحضان الاستعمار (المترجم)

نجحنا في الدفوع عنها ، وأجست الحكومة البريطانية بلذعة جرائم القتل في فلسطين ، وبالمهاية من بلاد الشرق الأوسط ، وحتى من حلفائنا ، فكان من الطبيعي أن تقوم أخيرا في عام ١٩٤٨- غيسل أيديها من مشكلة فلسطين ، وأن تترك اليهود وحدهم ، يجدون طريقة خلاصهم وأدت الحرب القصيرة التي وقعت بصورة مسرحية ، إلى تبديد ثقة البلاد العربية في نفسها ، بعد أن طبقت على فلسطين آملة في نصر سريع . . .

وأدى العنف الذي صاحب ولادة دولة إسرائيل إلى اشتداد المشاعر في الشرق الأوسط بصورة مستمرة ، واني لا تطلع بأعجاب إلى ماتم انجازه من عمل هناك في بناء دولة واستصلاح صحراء وتقبل هذا العدد الكبير من اليهود من جميع أطراف المعمورة ، ولكن الوضع قائم تماما ، فوضع مئات الألوف من العرب الذين أخرجوا من ديارهم ، والذين يعيشون حياة الفاقة والعوز ، في المناطق الحرام التي خلقت حول حدود إسرائيل ، خطر وفي منتهى الوحشية ، ويكثر العرب من توريد العداء الذي لا ينطوي ولا يزول للدولة الجديدة ، ولا يستطيع القادة العرب الأبعد نظرا ، أن يدعوا إلى الاعتدال ، دون أن يتعرضوا لخطر الاسكات والتهديد بالاعتقال ، انه منظر مظلم وخطر وعنيف لا حدود له ، وهناك شيء واضح ، فالشرف والحكمة يتطلبان بقاء دولة إسرائيل والحفاظ عليها ، والسماح لهذا الشعب بأن يعيش في سلام مع جيرانه « شرف من ياترى ا » ، وفي وسع هذا الشعب أن يأتي إلى المنطقة بأسهام لا يقدر بثمن من المعرفة العلمية والعمل والانتاج ، ومن الواجب اعطاؤه الفرصة لمصلحة الشرق الأوسط كله .

وقبل أن انتهى من هذا العرض الموجز للأمور التي أثرت على منذ انتهاء الحرب أرى أن ألقي نظرة على الأمم المتحدة ، ففي وسع أي جهاز لحكومة عالمية أن يفشل بسهولة في تحقيق غرضه ، وكان من رأيي عندما دنت الحرب من نهايتها ، ان من الواجب أن تتحكم أعظم العقول وأعظم الأفكار التي يملكها البشر في مصير العالم ، وكان هذا المشروع يقضى ، اذا تحتم تمثيل جميع البلاد كبيرها وصغيرها ، أن تضعف البلاد المذكورة ، فالمغزى الذي تقدمه الأمم المتحدة ، ليس الا تأكيدا لا جدوى منه لتعادل النفوذ والسلطان ، لا يمت بصلة إلى الحقوق المجردة ، وقد أسفرت النتيجة عن عمليات من النشاط اللامع وراء الكواليس تحاول أن تقبض على زمام الحكومة العالمية ، وقد استعملت كلمة « المحاولة » لأن صوت أي بلد لا يعد سكانها أكثر من مليون أو مليونين ، لا يمكن أن يقرر أو حتى يتحكم في أعمال الدول الكبرى ، وتميل الأمم المتحدة في شكلها الحالي إلى مصانعة الدول الديكتاتورية وأرهاب الدول الضعيفة ، وليس من حق الدول الصغرى ، أن تتحدث باسم الجنس البشري كله وعليها أن تقبل ، ولا ريب في انها مستقبل ذلك عن طيب خاطر ، مرتبة أكثر خفضا ، ولكنها أكثر قربا من الدول الكبرى ، ويجب أن تقسم على حكم العالم مجموعة من القادة البارزين في مجموعات من البلاد المؤلفة حسب أوضاعها الجغرافية وان عملية السماح لهذه المجموعات بأن تؤلف نفسها دون الحكم عليها بحسب قواها أو عدد سكانها هي التي تتولى تقرير الموضوع كله .

ولا أرى من وراء كل ماقلت ، الايحاء بأن جميع الجهود والتضحيات
التي بذلتها بريطانيا وحلفاؤها ، والتي سجلتها في هذه المذكرات قد
ضاعت عبثا ، ولم تؤد الا الى قيام وضع أكثر خطورة وظلاما ، مما كان
عليه الوضع في البداية ، واننى على النقيض من ذلك ، أتمسك برأى
السابق فى أن محاولاتنا لم تذهب سدى ، فقد أصبحت روسيا دولة
تجارية عظمى ، ويجزى أهلها فى كل يوم بحماس تام ومتزايد هذه
التعقيدات والملطفات الموجودة فى الحياة البشرية ، التي تجعل من خطط
كارل ماركس ومشروعاته ، أمورا مضي عهدها ، وغدت أصغر من أن تتفق
مع المشكلات العالمية ، ولقد أخذت القوى الطبيعية تعمل بحرية أكبر ،
وبفرصة أعظم ، فى نشر الآراء والأفكار المتعلقة بفردية الرجال والنساء
وتنويرها ، وهذه القوى أضخم وأكثر ليونة فى هذا الكيان الواسع من
امبراطورية الكون ، مما قد تصوره كارل ماركس فى كوئخه الحقيقى ، وعند
ما يضيق نطاق الحروب نفسها بالفرعية المتبادلة نفسها للقضاء عليها ،
يصبح من المتوقع بصورة متزايدة تأجيلها وعدم اللجوء اليها ، وستستمر
الخلافات حتما بين الدول أو القارات أو مجموعات الدول ، ولكن المجتمع
الانسانى سينمو فى أشكال متعددة ، بحيث لا تفهمه الأجهزة الحزبية ،
وما دام العالم الحر متماسكا والحالة هذه ، ولا سيما بريطانيا العظمى
والولايات المتحدة ، ومادامتا تحتفظان بقوتهما ، فستجد روسيا ان السلام
والرخاء أجدى نفعا من حرب الإبادة ، وان توسيع آفاق الفكر ومجالاته ،
عملية تتطلب الاندفاع عن طريق البحث عن الفرص لكل من يطلبها ، ومن
الخير أيضا ، اذا ما التزم الجميع جانب الحكمة والروية ، أن تسيطر
الرغبة فى تأمين الفرص للجميع على مشاعر الجنس البشرى وتعمل بمثابة
ضابط لها .

ونستون تشرشل

شارتويل - ويسترهام - كنت

١٠ فبراير ١٩٥٧

تم الكتاب

هيئة قناة السويس

عمليات المياه في منطقة القناة

توزع هيئة قناة السويس على سكان مدن القناة الثلاث عشرين مليون متر مكعب من المياه المكررة سنويا وهي تقوم بعملية ترشيح المياه في كل مدن بور سعيد والاسماعيلية والسويس ، كما تملك معامل لتحليل المياه تجري فيها اختبارات مستمرة للاطمئنان على نقاوتها وخلوها من الشوائب ويبلغ متوسط عدد العينات التي يتم اختبارها سنويا حوالي ستة آلاف عينة والطريقة المتبعة في الترشيح بمحطات مياه الهيئة هي طريقة الترشيح البطيء حيث ترسب المياه في أحواض خاصة بعد اضافة كبريتات الألمنيوم (الشبة) اليها بمقادير تتراوح بين ١٥ ، ٤٠ جراما في المتر المكعب . . .

وتمر المياه بعد ترسيبها في أحواض متتابعة خلال حبات من الحصى يصغر حجمها من حوض الى حوض حتى تصل الى حوض مزود برمل خشن تتسرب خلال حباته وتكون اذ ذاك قد فُلتت ٩٥٪ تقريبا من المواد العالقة بها . . .

وبعد ذلك تصل المياه الى المرشحات ذات الرمل الناعم، فتخرج منها نقية طاهرة

وتبحث الهيئة الآن طريقة احلث باستعمال مادة كلورود الحديد في عمليات الترسيب

ويبلغ متوسط انتاج عملية المياه في بورسعيد حوالي ٣٨٠٠٠ متر مكعب يوميا ، وفي السويس ٢٧٠٠٠٠ ، وفي الاسماعيلية ١٨٠٠٠ ، وتقوم الهيئة بالاستعدادات اللازمة لمواجهة كل زيادة مستقبلية في عدد سكان مدن القناة الثلاث . وتتولى عمليات المياه تموين مبانى وورش الهيئة بما يلزمها من مياه ، فضلا عن سكان مدن القناة الثلاث . . .

كما يستخدم في تموين السفن في مينائى السويس وبور سعيد . . . وتقوم الهيئة من جانب آخر بتشغيل طلمبات للمياه العكرة بالاسماعيلية والقنطرة لرى المزروعات وخاصة مشاتل الهيئة وحلقاتها المنتشرة على جانبي ترعة الاسماعيلية

هيئة قناة السويس

الحياة الاجتماعية

ان طاقة الفرد الانتاجية مرهونة بتوافر وسائل اظهارها وتنميتها ، فاذا ما توافرت لعامل مقومات العمل المنتج من رزق وفير وسكن مريح واطمئنان على المستقبل ، تضاعفت قواه وازداد نشاطه وجزل انتاجه .

تلك هي القاعدة التي تطبقها هيئة قناة السويس على مستخدميها من موظفين وعمال : رواتبهم مرضية ومساكنهم صحية وتبشير مستقبلهم جديرة بأن تبعث الاطمئنان في القلوب . وفي هذا الجو المشبع بروح السكنينة والاستقرار يعمل ما يقرب من ١٠٠٠ موظف وحوالي اربعة آلاف عامل ليضمنوا نجاح مدير المرفق العظيم .

كما توفر الهيئة لموظفيها وعمالها وسائل التقرب الى الله حتى يؤدوا فروض دينهم كاملة . فالعمال الراغبون في تادية فريضة الحج يحصلون على اعانة ستون جنيها تعطى لهم مرة واحدة خلال خدمتهم .

كما تشجع الهيئة عدة مدارس اسهاما في تربية النشء الجديد وتزودها بالاعانات المادية المعنوية . وتضطلع تحت تصرف مستخدميها - بايجار زهيد - ١٣٧٤ مسكنا شيدت خصيصا من اجلهم وروعى في تصميمها توافر كافة اسباب الصحة والراحة .



۱۵۷ شارع صبيد - روض الفرج
تليفون ۴۰۵۸۸ - ۴۰۸۱۴
۴۰۷۵۳ - ۴۱۰۱۲

مجموعة اخترنا لك

تصدر

اسبوعية باللغات العالمية

يشارك في تحريرها وإعدادها

لجنة "اخترنا لك"



المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢

Bibliotheca Alexandrina



0399048



الثن ١٠ قروش

العدد ١٤١